



0149757



Bibliotheca Alexandrina

حواء خالدة

محمود تيجور

محمود تيمور

هراء الخالة

مستزعم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعتها بالتمسك مسيزت ٩١٩٣٧٧
المنهجية النموذجية
أسكة الشتا بوري بالهلمية الجدميدة

أشخاص القصة

<p> { بطل قبيلة « بني عبس » ، وحامي ذمارها . في الثانية والعشرين من عمره . </p>	عنتره
<p> : ابنة « مالك » ، تناهز التاسعة عشرة . </p>	عبلة
<p> { من أشياع « بني عبس » ، يتيّف على الستين من عمره . </p>	مالك
<p> { رأس قبيلة « بني زياد » ، من « كندة » ، وافر الثراء ، عظيم الجاه ، أكل الثلاثين من عمره . </p>	الأمير عماره
<p> { راوية « عنتره » ، ومذيع شجره . يبلغ الأربعين . مريح النفس ، فيكه الروح . </p>	عظمم
<p> { صفيّة « عبلة » . في الرابعة عشرة من عمرها . </p>	هند
<p> { صاحبة « عبلة » . في الثامنة عشرة من عمرها . </p>	دعجاء

حازم } كبير الحاشية في بيت «مالك» . شيخ تقدمت
به السن .

أم هـرم : زوج «حازم» . مدبرة خباء «عبلة» .

نحلاء : من صبايا الحى .

ابن قياض : من قبيلة «بنى عبس» . تاجر رحالة .

سُرَاقَة }
بُجَير } من رجال «بنى عبس» .
ابن الزاهد }

أردبيل : الأذُر في بيت «عنبرة» .

سيف : فتى يحسن الغناء .

الفصل الأول

« يبدأ... الوقت : أمسيل...
خباء « عبلة » زاه بلونه العنابي ، تحف
به نغيلات... تترامى أمام الخباء رحية
في أطرافها أكتات ثلاث... تترامى
على مد العين أخبية متناثرة... « عبلة »
جالسة بباب خبائها تشجذ سكينها وبجانبيها
« دعجاء » بن يديها مغزل... « هند »
على رأس أكذ تطام... »

عبلة : « لهند ، أما تديننتِ لقادم ظلا ؟ ...

هند : لم يقع بصرى على أحد...

عبلة : عجبا... ماذا أبطأ به ؟ ...

هند : « وهى تحذّ بصرها ، كأنى الملح بيرا يعدو ...

عبلة : هيه ...

هند : ... يعتلى ظهره شيخ ...

دعجاء : « لهند ، أنت كليلة البصر... عسير عليك

أن تميز العزة من البعير ... أنبلى ... خلّى
مكانك لي ...

هند : « لدعجاء ، أخصك الله بأكثر من عيين ؟ ... »
« تستأنف تطلعها ، إنه لا محالة بهيرٌ على ظهره »

شيخ ...
دعجاء : « ما شأننا بهير الشيخ ؟ ... » « تلتفت إلى عبلة ، أما كفى
شجذاً ؟ ... لقد أصبحت السكين أحدٌ من السيف ...
أريني ... »

« تعد يدها فتجذب السكين جذبة خاطفة ،
فتصيب كفها بجرح يسير »

ويلاه ! ... كادت تفرى يدي ...
هند : « هابطة إلى الحباء ، هذا جزاؤك ... »
دعجاء : « ما أسرع لسانك إلى قول سوء ... »
عبلة : « أما تفرغ لكما مشاحنة ؟ ... كأنكما ضرتان !؟ ... »
دعجاء : « لم يبق إلا أن تكون ضرتي هذه الطفلة
الرضيع !؟ ... »

هند : « لدعجاء ، أكنت ترضين لك ضرة كد عيلة ، ؟ .

« تشع دمعجاء بوجهها عن هند ،
استصناراً لها وزراية ، وتسيراً لمجری
الحديث »

دعجاء : « وهى تتأمل السكين فى يدها ، مسنونة كد شفرة ،
السيف . . .

عيلة : بل أحدّ ، إنى لا أفتأ أشحذها كل يوم ...

هند : وفيم هذا العناء ؟ ...

دعجاء : « ضاحكة ، ألا تدرى كين يا طفلة ؟ ... إنها تشحذها
لتذبحك بها ...

عيلة : « نحدق فى هند باسمه ، أراضيه أنت بأن أذبحك ؟ ...

هند : « متطلعة إلى عيلة بنظرات حب وسذاجة ، ما أطيب
أن تذبحنى هاتان اليدان البضتان ! ...

« عيلة تقبها فى رقة وحنو »

دعجاء : « لهند ، أما أنا فسأجعل منك شواء شهياً ...

عيلة : « ضاحكة تنظر إلى هند نظرة حذب ومحبة وتلاطف

ذقها ، وعنترة يلتهم هذا الشواء ... أليس كذلك
يا صغيرتى ؟ .

هند : لا أحبُّ أن يأكلنى عنترة ، وله تلك اللحية الكثَّة
المموشة ١ .

« تطلق عبلة ضحكة وهي تهبث
بسكينها »

عبلة : حق ما تقولين يا هند . . . لا يجعل بعنترة أن
يطعمك إلا إذا أزاح عن وجهه لحيته
الكثَّة المموشة . . . سأتى عليها فى طرفة
عين . . .

هند : كيف ؟ ...

عبلة : هذه السكين حاضرة ١ ..

دعجاء : « لعبلة » تحسنين صنعا . . . إن لحيته تحيله شبيحا
مفرغا . . .

هند : ولكنه بطل غضنفر ... إنه فاتن النساء ...

دعجاء : دلهند ، أئنة نساء تعنين يا طفلة ؟ ... كأن الحى

لم يُرزق فتى غيرَ عنترۃ ١٢

عبلة : « وقد وقفت قبالة هند ترنو إليها وتبتسم ، لله دَرَكٌ
من حسناء ... عيناان ساحرتان عجبتُ لهما كيف
لا تُحسنان إلا بصار ؟ ...

هند : إن بهرى أنفدُ من بصر الذئسر ...

عبلة : « وهى ترمق عيني هند ، لعينيك لون العسل المصنّى

دعجاء : « فى دعاية وسخرية ، إن عنترۃ يحلو له لونُ العسل
فى العيون .

عبلة : « لدعجاء ، يخيل لى أن لعينيك أنت أيضاً لون العسل
يا دعجاء ا ...

دعجاء : أحقاً ؟ ... لم أكن بهذا سامة ا

هند : « لدعجاء ، أصابت عبلةُ فيما قالت ... لعينيك
لونُ العسل ، بيد أنه العسل الكدر ...

دعجاء : دلهند ، ماذا تقولين ؟

عبلة : « لدعجاء ، تقصِدُ هند بالعسل الكدر العسلَ الغنى

بشمعه الأصـبـيل ... إن الرجال يهـوون هذا
الصنـف ...

هند : ولكنهم سرعان ما يزهـدون فيه !

« دعـجاء ترى هند بنـظرة استـنكار

وترفع »

دعـجاء : « لعبـلة ، ولون عـينـك أنت ؟

عبـلة : وقد دنت من دعـجاء تـواجهـها ، أنـحـسى النـظر فيهما ،

وتبينى لـو تـهما ...

دعـجاء : « تحـدق في عـينـي عبـلة ، لا أستطيع أن أتـبين لهما لونا ...

عبـلة : « تتـضاحك ، عـينـاي لا لون لهما !

هند : « وهـي تصعد بصرها في عـينـي عبـلة ، إنهما تزخـران

بشـتى الألوان الزاهية ، فيهما خـضرة المـروج ، وـصـفرة

الذهب ، وزرقة السـماء في صـحـوها ...

دعـجاء : « مستهزئة ، يالـلـشـاعرة ! ...

هند : عن عـنـترة أخذت بلاغة الشعراء ...

عبـلة : « ساهمة ، عـنـترة ؟ ...

« تنهض إلى الربوة »

تلك أول مرة يخلف فيها مواعده ...

هند : « وقد تبعت عبلة إلى الربوة ، أمر خطير عاقب قدمه لاحالة ! »

عبلة : « وقد ارتقت الربوة ، تسرح طرفها في الأفق ، ها هي

ذى الشمس تنحدر للغيب ولما يظهر له أثر ... لقد

أقسم أن يعود إلى بجلد الأسد ...

دعجاء : « لعل الأسد قد تصيده ! ... »

هند : « ومن يحمي الذمار ويندود عن الحمى ؟ ... »

دعجاء : « لن تدمم القبيلة من بنينا حماة يا طفلة ! ... »

هند : « ولدعجاء ، وأين كان هؤلاء الحماة يوم عدت علينا

فتاك بنى دجيل الملقبين بالجر ، وعاثت في أرضنا

فساداً ، وأعملت في ديارنا يد النهب والتخريب ؟ ... »

وأين كان هؤلاء الحماة يوم كرت على مراعيينا قطعان

الذئاب الضواري تستبيح ما لنا من إبل وأغنام ؟ ... »

ألم يبرز عنقزة لهذه وإتلك بعزمه البتار فيردها

على أعقابها مقهورة فزعة ، على حين تسالل حمايتك

هربا في شعاب الجبل يحتمون بها احتفاء الجرذان
بالشقوق ١٩ . .

عبلة : حسبك يا هند ... حسبك ا ...

هند : « عند فدة لدعجاء ، فمن من هؤلاء الحياة خرج ليردّ
عنا غائلة ذلك الضرغام العنيد الذي ألف أن يطرقنا
كلّ يوم ليرجع بفريسة ينزعها على أعيننا ، ونحن
صاغرون أذلاء ، لا يملك أحدا أن ينال منه
نأراً ١٩ ...

دعجاء : لم يخرج عنقرة من تلقاء نفسه للإيقاع بذلك الضرغام ،
ولما أذعن لأمر من عبلة ... !

« تضاحك »

عبلة : ما أمرت عنقرة بشيء ، ولكنها رغبة هجست بها
نفسى ابتغاء الحصول على جلد ذلك الضرغام ؛
لكى أتخذ منه بساطا في خباتي ، وقد كاشفت عنقرة
برغبتي ا ...

دعجاء : فما أسرع أن هبّ ينفذ ما ترغبن فيه . . . الإشارة

منك أمر مطاع ... ولكن اعلى أنك بعثت به إلى ...
الردى ا ...

عبلة : لا يعنينى إلا أن ميمحضر لي جلد الضرغام ا ...

هند : سيجيتك به ا ...

عبلة : « كالمناجية نفسها » ويحي ا ... ماذا نقول نساء الحى
إذا آب عنقرة صفر اليدى عما طلبت ؟ ...

« يأخذ بصرها « حازما » وهو يقبل . . »

أنت هنا يا حازم ؟ ... ماذا وراك من نيا عنقرة ؟ ...

حازم : الحى أجمع فى كحيرة من غيبته المرية ... أخشى
أن يكرن قد ألمَّ به مكروه ... إن الضرغام شديد
المراس ا ...

عبلة : وأين راوية قَصِيدِهِ عظمم ؟ ...

حازم : شاخص على أطراف البيداء بجوار نع الثريا ينتظر
قدومه ...

عبلة : أهذا كل ما فى جعبتك من الأخبار ؟

حازم : لقيتُ فى طريقى ركبَ الأمير معمارة

- رأس قبيلة كـسندة ؟ ...
- دعاء : أمير عريض الجاه ، موفور الثراء ... مطمح أنظار
النساء في البادية ا ...
- هند : لم لا تحتالين لخطبته ؟ ...
- « تنظر إليها دعباء شزرا . . . »
- عبلة : « لحازم ، أيتها وجهه يبغى الأمير ياترى ؟ ...
- حازم : يبغى مضارب خيام بنى ثعلبة ، بيد أنه سيمر بنا ليرد
إفاءنا ا ... ولقد سألته عن عنتره ، فقال : لعل
الضرغام ابتلعه ...
- دعاء : إن شأن عنتره والضرغام قد شاع وذاع ، وملا
السقاع ، وتسامعت به الركبان في كل مكان ...
- عبلة : « مهمة » : ويل له إن أخفق ا ...
- « عبلة لـ « حازم » ، في لهجة الأمر . . . »
- أخرج في نفرٍ من أهل الحى لاستقبال الأمير عمارة ،
وأكرموا وفادته ا ...
- حازم : سمع وطاعة ا ...

« ينصرف حازم »

عبلة : إذا بام بالحياة ذهبت أصداء قصيده الرنان في أدراج
الرياح ! ...

هند : أؤكد لك أنه لن يغيث طويلاً ...

عبلة : « محزنة » لقد أخلف مواعده وكفى ! ...

هند : الغائب عذره معه ...

عبلة : أى عذر يكرن ؟ ... لقد واعدت نساء الحى أن

أريهن اليوم جلد الضرغام ... وإخالفن مقبلات على

خباتى بعد هنيهة ... فأين جلد الضرغام ... أين !؟ ...

هند : ألا يشفع لعنترة عندك ما يقوم به ابتغاء مرضاتك ؟

إنه لا يفتأ يغدو إليك بالحليب كل يوم غير

متخلف !؟ ...

دعجاء : ليس هذا بالامر العسير ... حمل قعب من الحليب

لا يرهق أحداً ! ...

هند : إن الحليب يحمله الخدم والموالي إلى السادة . . . أما

الفوارس الشجعان ...

دعجاء : « ساخرة ، فيضربون في الفيا في : يصرعون أسودها ،
ويسلخون جلودها ! ... »

هند : « لعبة ، عجبت لك كيف تسمعين هذا القول
ولا تتصدّين لدفعه ؟ ... أيجازى عنثرة منك بأن
تناله الألسنة بالسخرية دون أن تكرونى له نصيراً ؟ »

دعجاء : « لهند ، حسبته اتصارك أنت له ! ... »
« لعبة »

أخشى أن تكون هذه الطفلة منافسة لك في حب
عنثرة ...

عبلة : أهلا بها منافسة حيية ...

دعجاء : ما أظنها إلا والهة مدلّتها بحبه ! ...

هند : إني به معجبة ، وإني بهذا الإعجاب لمعتزة ...
أما أنت ؟ ...

دعجاء : ماذا يا طفلة ؟ ...

هند : « لدعجاء ، إنه عنك في شغل ... ولا أزيد ! ... »

دعجاء : « تنصاحك ، لن أنوّه له فتيلاً من إعجابي إلا إذا خلا

وجهه من لحيته الشعثاء ! ...

عبلة : كفاً عن الكلام ... ركبُ الأمير عمارة يقترب ...

دعجاء : الأمير عمارة قادم ...

« تتلثم »

هند : « لدعجاء ، لم اللثامُ يا دعجاء ؟ ... »

عبلة : لتغدو للعيون فتنة ! ...

هند : تحذق دعجاء انتهازَ الفرص ...

« يبدو حازم »

حازم : « جهورى الصوت ، الأمير عمارة الكندى ... »

« يقبل الأمير فى حلة موشية فاخرة ،

متقلداً سيفه المرحم الوضاء ، تتبعه الحاشية

والأحراس »

عمارة : « لعبلة ، طاب يومك يا بنته سيد الحى ... »

عبلة : « للأمير عمارة ، طُبستَ وسلَمتَ . . . شرفتُ

بمقدمك الديار ، وحق لها الفخار . . . وددت لو كان

أبى حاضرأ ليغتم لقاءك ...

عمارة : أين هو ؟ ...

- عبلة : خرج إلى الحيرة يزور ملكها المنذر ...
- عمارة : يسوءنى ألا أراه ... ولكن فى رؤيتك عوضٌ أى
- عوض ... سابق ريثما يستقى الركب ...
- عبلة : «ملت أهلاً ، ونزلت سهلاً ، أيها الأمير ! ...»
- « تشير إليه بالجلوس ، فيجلس ... » تقول
- لـ « حازم »
- علينا بصحاف المجيع ، وجفان الثريد ، لضيوفنا
- الكرام ...
- حازم : السمع والطاعة ...
- « ينصرف حازم »
- عمارة : علمت من الشيخ حازم أنكم تضاءلون عن عنقرة ...
- يبدو أن اهتمامكم به شديد ...
- عبلة : وهل فى هذا من ضئير ؟ ...
- هند : إنه فى القبيلة الهمام ، وفارسها المقدام ...
- عمارة : « لهند ، إنه لكذلك حقاً . . . » لعبلة ، موفق الحظ
- هذا الفقى الذى يظلم بمطف نتيات الحى ، ولاسيما
- عطف درة القبيلة بلة ...

عبلة : أشكر للأمير ثناءه ... أكبر ظنى أن عنزة عائد إلينا
موفور الفوز ...

عمارة : إن الضّرغام غلابٌ غَضوبٌ ، ما ساوره
فارسٌ إلا افترسه ... لم ينبجُ حتى اليوم من برائنه
أحد ...

هند : سيفتِك عنزة بهذا الضّرغام ...
عبلة : لقد أفسم أن يحضر لى جلده ، وما عهدتُه في
قسمة حاشا ...

دعجاء : ها قد أدبر النهار ، ولمّا يُقبِلْ عنزة ا ... لقد
وعد بأن يحمل إلينا جلدَ الضّرغام ، والشمسُ متوسطة
كبدَ السماء ...

« يدخل حازم بصحاف المجمع وجفان
التريد ، فيلف حوله المجمع . . . »

عبلة : « متحدية ، إنه لعائد بجلد الضّرغام ... لا محالة ا ... »
عمارة : عنزة شاعر فحل ، تردّد اليدهُ قصائده التي تغنى
فيها بحسبك البارع ...

هند : إن اسم عبلة يسرى في الخافقين ، يترنم به الناس في
شعر عنبرة الفياض .

عبلة : ما أسعدنى بأن أكون مُلهمة روائع القريض ...

دعجاء : وماذا يكون من أمر عنبرة إذا تعطلت شاعريته ؟

عمارة : يَشْقَى له طول قامته ، وسواد لونه !

هند : بل يَشْقَى له حد سيفه البتار ! ... ولكنه سيظل
شاعراً ، ولا سم عبلة ذا كراً ...

عمارة : « لعبلة ، مهما يصف عنبرة من حسنك فين وصفه
وبين الحقيقة أبعاد وآماد . . . إن الحقيقة
تلوح له كالسراب ، كلما خف إليها ترامت عنه ...
إنه يقول :

ولقد ذكرْتُكِ والرماحُ فواهل

منى وبِبيضُ الهند تقطر من دمي

فوددتُ تقبيل السيوف ؛ لأنها

لمعت ككبارق ثغرك المتبسّم

فأين لمعة السيف من وضاعة هذه الثايات المفلسجة ،

هذا الجثمان المُسنَّضُ المتألق تالِقَ ندى الفجر على
صفحة الزهر . . .

عبلة : لآى الأمرين جئتَ أيها الأمير : لتغزل أم
لأستقى ؟ ...

عمارة : جئتُ أستقى لقلبي من نبع الفتنة والسحر ! ...

« ينظر إليها وتنظر إليه ... يتسم
كلاما ... كتاب الظلمة تلقى ظلها على
الكون ... تظهر أم هرم . . . »

أم هرم : احتشدت نسوة الحى من أهالك وجيرتك يستطلعن
نبأ جلد الضرغام الذى وعدك به عنقرة ...

عبلة : « مهمة » جلد الضرغام ... ليتنى أستطيع أن أبسط
لهنَّ جلد عنقرة يستمتعن بمראה ...

« تتوافد نسوة الحى فيملأن الرحبة ...
تقدمن نجلاء . . . »

نجلاء : ألم يأت عنقرة بجلد الضرغام ؟ ...

عبلة : لم يأت بعد . . .

نجلاء : إني لينجامرني الرب في نجاح هذه المغامرة ...
هند : أيّ رب تقصدين يا نجلاء ؟ ...
نجلاء : من يدري لم أخرج ؟. ألتصيد الضرغام ، أم لاقتناص
المها والخزلان ؟ ...

« الندوة ينبغي ضاحكات . . . »

يبدولي أنها حيلة خُدع بها قلبك الرقيق ! ...
هند : لنجلاء ، أأصابك مس فجعات تخاطين ؟ ...
عبلة : فيم هذا النقاش يا صويحبات ؟ الخطب هيّن ... مالنا
الآن ولعنترة ولجلد الضرغام ؟ ... ألا تعلمن أننا
في حضرة الأمير عمارة الكندي رأس بني زياد ؟ ...
« تشير إلى الأمير عمارة . . . »

النسوة : « خافتهن أصواتهن يرددن ، الأمير عمارة الكندي ؟ ...
الأمير عمارة الكندي ؟ ...
نجلاء : عَمُ مساء أيها الأمير ... شُرُفت ديارنا بمقدمك
الكريم ...

عمارة : إن اغتباطي بكنّ فوق أن يوصف ! ...

عبلة : إن قدوم الأمير علينا عيدٌ أي عيد ، فلنقم له
مُسَرَّجانا يتحدث بهجته القريب والبعيد .

عمارة : أنت تُفعمين قلبي حبوراً ، وتملئين نفسي زهواً
وخَيْلاً ...

عبلة : « صائحة ، انحروا الذبائح ، وأوقِدوا المشاعل ،
وأعدّوا الدفوف ، وادعوا الفتي سيفاً المغنى ...
اغْجَلُوا ...

« يعضى بعض الفتيات والخدم لإحضار
ما حابته عبلة »

عمارة : ولماذا دعوتِ بذلك الفتى المغنّى المسمّى سيفاً ؟ ...
عبلة : اينشَدنا بعض الحانه ...

عمارة : هل لي أن أنمى عليكِ ؟ ...
عبلة : تمنّ ما شئت ...

عمارة : تَشْدِينِنِي أَنْتِ أَغْنِيهِ مِنْ أَغَانِيكِ الْعِذَابِ ! ...
عبلة : تريدني على أن أغنى لكِ ؟ ...

عمارة : إذا عَدَدْتَنِي لِذَلِكَ أَهْلًا .. تنَاهِيَنِي إِلَى نَشِيدٍ صَاغِهِ

لكِ عنتره ، فأحسنْتَ غناءه ...

عبلة : سأُنشدكِ إياه ...

هند : أتعنَّين هذا النشيد حقاً ؟ ...

عبلة : وماذا في هذا يا هند ؟ ...

هند : «مُتَاجِةٌ» أَذْكَرُكِ عَهْدَ الْغَائِبِ الَّذِي أَلْقَى بِنَفْسِهِ

فِي التَّهْلُوكَةِ مِنْ أَجْلِكَ ...

عبلة : ذَلِكَ الْغَائِبُ لَمْ يَرَعْ لَنَا عَمْدَهُ ...

• تقبل الفتيات حاملات الدفوف

والمشاعل ، بينهن الفتى سيف

هند : بَعْدَ هَذَا ... لَا أُطِيقُ أَنْ أَشْهَدَ حَفْلاً تَذْجُونَ فِيهِ

عنتره ! ...

« ترح المكان مهرولة »

عمارة : عَجَباً لِسُلْطَانِ عَنْتَرَةٍ عَلَى بَنَاتِ هَذَا الْحَيِّ ! ...

دعجاء : لَا تَعْجَبْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ... إِنَّ فِي عَيْنِيهِ وَمِیْضاً يَفْتَتِ

الصَّخْرَ الْأَصَمَّ ...

عبلة : أَقْصِرُوا عَنْ ذِكْرِ عَنْتَرَةٍ ... فَلْنَبْدَأْ مَهْرَ جَانَّنَا ...

« تَنَادَى ، يَا سَيْف ...

• يتقدم الفتى المغنى سيف •

- عمارة : نَحُوا سيفاً هذا ! ... أردت أن ...
- سيف : لستُ أيها الأمير بسيف قاطع ، وإنما أنا صدى
"مثلهم الحد" .
- عمارة : لا أبالي السيوف على أى نحو تكون ... عَنَيْتُ
أن تغننى عبلة نشيدها العذب الجميل ! ...
- سيف : تشركى عبلة كثيراً فى غنائها ، فإذا ما اندفعنا نغنى
مما خَلَّاتَنى عبلة وخَلَّتْ عبلة سيفاً ، فعبلة أنا ،
وأنا عبلة ... و ...
- عمارة : خَسَدْتُ أيها السيوف المحطم ! ...

• عبلة تتضحك •

- عبلة : اضربن بالدفوف يا صويحبات ، واعقدن حلقة
الرقص مبهجات ... « للأمير عمارة ، : سأشذك
ما رغبت إلى فيه ...

• تنشد وهنّها ترسل إليه نظرات

• أغراء •

أنت للعـين ضياءُ أنت للروح دواءُ
أنت يا عبلة أنس لفؤادى وهناء
أنا لا يهدأ شوقى فى بـعاد أو لقاء
طيفك المحبوبُ شغلى فى صياح أو مساء
حينما تَرْضَيْنَ عني يملأ القلبَ الرجاء
فإذا الدنيا نعيمٌ وإذا الكونُ صفاء
وإذا بى فى حـبور وابتهاج واردهاء

* عبلة تغنى بهذه الأبيات ، والفتى سيف
يتابعها فى الإنشاد . الفتيات يشتركن معها
فى الغناء ... تنعقد حافة الرقس من الفتیان
والفتيات ... الأمير عماره تسرى فيه
نشوة الطرب ، فيدلف إلى الحلقة ، ولا يلبث
أن يأخذ بيد عبلة ، فتتردد لحظة ، ولكنه
يحملها على الرقس معه ، فتقبل عليه . . .
يتراقصان على إيقاع الطبل والدقوف . . .
تنبت من الربوة على حين بغتة صبيحة عالية
تتلوها صبيحات ... عنبرة يثب إلى الحلقة ،
كأنه شهاب يهوى من السماء . . . الجمع
فى هرج ومرج . . . عنبرة يدفع الأمير
عماره بجمع يده ، ويجتذب إليه

عبلة . . . سرعات ما تبدو هند

الى جانب عنبرة «

عنبرة : « وقد امتشق حسامه ، إن كنتَ ذا بأس قادراً

عن نفسك ، قبل أن يطيحَ سيفي برأسك !... »

عمارة : « وقد استل سيفه ، أتعلم من تُنازل ؟ ... »

عنبرة : لا يعني أن أعلم ... فلتكن من تكون ! ... »

عبلة : « وقد تطلق محياها ، داهو ذا جلدُ الصُّرغام !... »

« : نو من عنبرة ، فتحول بينه وبين

الأمير عمارة «

لأنه الأميرُ « عمارة . . . ضيفك . . . فاعرف

واجبك له ... »

عنبرة : « الأمير عمارة ، ليُعلمك سيفي جزاء من يمتن

أدبَ الضيافة !... »

عمارة : ليس مثلي من يمتن أدبَ الضيافة ... »

« أهل الحى يلتفون حول عنبرة ،

ويتهامسون مهدئين من نورة ، مشيرين

عليه أن يلتزم جانب الملم «

عنتره : « على الصوت ، إذن فليرتحل عنا ... »

« يجتمع قهر من أهل الحى بالأمير عمارة
ورفاقه ، فيتسارون »

عمارة : سنلتقى يا عنتره^١ يوما ...

عنتره : « صائحا ، سنلتقى لا مَنَاص ... »

« ينصرف الأمير عمارة ومن إليه من
الحاشية والأتباع ... يتقدم عنتره من عبلة
صامتا قد شمع بأنفه ، فيلقى أمام قدميها
جلد الضرغام »

عبلة : « مخاطبة بنات الحى ، ذلكن^٢ يا صويحبات جلد

الضرغام ... تعالينَ انظرنه ... قلبنه بين أيديكن
لتتيسن أن عنتره أنجز لى وعده ... »

« الغيات يتهاقن على جلد الضرغام
يتفحصنه ثم ينصرفن بين مهمهمات
ومصيححات ، ولابقى منهن إلا دجاء وهد »

عبلة : « لعنتره ، إليه فارس^٣ بنى عبس ، ومسيد^٤ ممحاة

الحى ... من سيجايا^٥ الفتى الكريم أن يمنح من بشر

وجهه وإيناس نفسه أضعافَ ما تمنح يدها ...

« عنزة متغضب متأفف في صمت . . »

عبلة : « مترودة ، عنزة ! . . . عنزة ! . . .
عنيتني ! ...

« تقبل عليه ، فيراجع عنها متايًا . . »

فارسي ! ... بطل المظفر ! ...

عنزة : وما ذاك يا عبلة ؟ ...

هند : « مبتهجة ، لقد تكلم . . . لقد تكلم ! ...

دعجاء : وهل قالوا إن عنزة فقد لسانه ؟ ...

عبلة : « دانية من عنزة ، فيم هذه الغضبَةُ التي تمازج
صوتك ؟ ... أكذا تلقى من تحب ؟ ! ...

هند : « مبتهجة ، نعم ما قلت . . . مرحبتي ...
مرحبي ! ...

عنزة : « لعبلة ، أنتظرين أن أمد لك ذراعي ، وقد كنت
منذ هُنيئة بين ذراعي ذلك الوغد ؟ ! ...

- عبلة : ما أعظم حبّك إياي ! ...
- عنتره : « لعبلة ، وقد أنشدته نشيدى ! ...
- عبلة : « ملقية نظرة توصل إلى هند ، كرامةً لهذه الصغيرة
فعلتُ ... ألحّتْ على طويلا فاستجبتُ ! ...
- هند : « حيزى خافضة البصر ، كان لزاما علينا أن نرحب
بضيف الحى ...
- عبلة : « وقد أمالت رأسها على صدر عنتره ، أسمعت ؟ ...
بحقك عندى لم أنشده نشيدك ابتغاء مرضاته ! ...
« تداعب لحيته »
- أما زلتَ حاتقاً على يا طفلى الغضوب ؟ ...
- دعجاء : « مخمخمة مغيظة ، يا للمهزلة ! ...
- « تمضى مجلة »
- عبلة : « ورأسها على صدر عنتره ، وهى تربت خده ، كيف
باغتسنا ولم يشعر بك أحد ؟ ...
- عنتره : « كما باغت الضرغام فى عرينه ، فلم يشعر إلا بأظفارى
وقد شرببت بعنقه ...

- هند : يالك من بطل ... بكفك تصرع الأسد ١٢...
 عبلة : ماذا أبطأ بك ، وقد وعدتني أن تثوبَ في الظهيرة ؟
 عنتره : ساورت الأسد وقتاً ، حتى ألبأته إلى عرينه ١ ...
 عبلة : ولماذا لم تصارعه في براح البيداء ؟ ...
 عنتره : خشيت أن أضطرَّ إلى معالجته بضربة سيف ،
 فيذيقَ جلده ... وقد أقسمت أن أسلمَ إليك الجلدَ
 صحيحاً لا خدش فيه ١ ...
 هند : عجبت كيف لم يبرأك الله أسداً ١٢...
 عبلة : إنه الأسد عينه ... تلك هامته الضخمة ، وذانك
 ساعداه الباطشان ١ ... وما هذه اللحية الكثَّة
 إلا لبدة الأسد ١ ...
 « تداعب لحيته ، يتضاحك عنتره وهند »
 هند : « محذقة في ذراع عنتره ، لقد ظهر الدم على ضماداتك
 من نَزِّ الجرح ... ألا تغيرُها ؟ ... »
 عبلة : أجريخ أنت ؟ ...
 « ترنو إلى ذراعه »

- عنتره : إنها ضربة طائشة أرادنى بها الضرغام وأنا أساوره ،
فلو فالتنى برائته بعنفها لما كان لى إلى الحىّ مرَدّ...!
- عبلة : لقد أنجأك الله منها ، فسلمتَ ورجعت ...
- عنتره : رجعت لى تطالع عيني أول ما تطالع وجه أميرك
عمارة الكندى ! ...
- عبلة : مالنا ولهذا الأمير ؟ ... أتغار منه ؟ ...
- عنتره : ما أعجب أن تسألينى هذا السؤال ! ...
- هند : « لعنتره ، وهبتك عبلة قلبها ، وعن سواك
صاتشه ١٩ ...
- عبلة : أسمع أنت ؟ ...
- عنتره : هذا قولها ...!
- عبلة : يا للجهود ! . . . وقولى أنا ، أما كاشفتك به
مرات ١٩ ...
- عنتره : ليتك تسمعينى إياه الساعة ، فإنى لا أمل سماعه ! ...
- عبلة : « وعيناها موصولتان بعينه ، أحبك ...
- عنتره : « منشيا ، أعيدى قولك على مسمعى ! . .

بالله أعيدى ا ...

عبلة : أحبك ا ...

عنتره : زيدني ؟

عبلة : أحبك ... أحبك ...

هند : حسبك ... ا « لعبلة » لوطاوعته لما انتهت من

التكرار أبد الدهر ا ...

عبلة : « لعنتره » إذا رغبْتُ إليك أن تقولها لي ، فكم

مرة تستطيعُ أن تعيدها على سمعي ؟ ...

عنتره : أفى حاجة أنتِ إلى سماعها ؟ ... إن كلَّ لفظة تنبِسُ

بها شفتاي في جدِّ أو هزل تنتطوي على حيِّ إياك ،

وإن كلَّ عمل أقوم به في سفر أو حضر ليحملُ

لك خضوعَ المحب وذلَّ المستهام ا ...

هند : هذا حق ... « لعبلة » يكفيك منه أنه يحتلب النعاج

بيديه ، ويباكرك بقسب اللبن لا يتخلَّفُ أيَّ

صباح ... عمل لا يرتضيه لنفسه إلا الأرقاء ا ...

عنتره : « لعبلة » أخبريني : ماذا تبغين مني فوق احتلاب النعاج ؟

هند : « لعنترة ، وأنا ... أليس لي أن أسألك شيئاً ؟ ... »

عبلة : بدأ قلبُ الصغيرة يتفتّح يا عنتره ... حذارٍ من
غَيَرَتِي حذارٍ ! ...

عنتره : ليتني أجدُ الوسيلة إلى إثارة هذه الغَيِرة

هند : ألا تجدني أهلاً لأن أثيرَ غَيَرَتِها ؟

عنتره : « لهند ، ما أحبُّ إلىَّ أن تكوني لذلكِ أهلاً ... »

« مداعباً ، سلى ما بدا لك ! ... »

هند : أسألك أن تحضر لي ... أن تحضر لي

« متحيرة »

عبلة : أحضرُ لها أسداً ...

هند : « صائحة ، أجل ... أسداً ... أسداً ... »

عبلة : أسداً من عجوة ...

عنتره : « متصايحاً ، من عجوة ؟ لا ... لا ... إنك تمجزيني

يا هند ! ... »

« يتضاحكون »

عبلة : « متدلة ، زن إليك مطلباً ! ... »

- هند : سوى جلدِ الضرغام ؟ ...
- عبلة : « لعنّرة ، إنه المطلب الأخير يا عنّرة ... »
- هند : مطالبك لا تنفد ا ...
- عنّرة : « لعبلة ، أفصحى عن حاجتك ... فذاكِ روحى ... »
- عبلة : وعدتُ بهذا المطلب بناتِ الحىّ كلّهن ...
- عنّرة : ما هو يا فتّاننى ... ؟ ...
- هند : « لعنّرة ، تجعل الجبل ينقل إليها ، وينقاد لها انقياد البعير ا ... »
- عبلة : « لعنّرة ، ليس مطلبي عليك بمعزير ... »
- عنّرة : من أجل عينيك كلُّ صعب يهون ...
- عبلة : « تداعب لحيتك ، مطلبي أن ... أن ... تحلق لحيتك ا ... »
- عنّرة : « دهشا ، لحيتى ؟ ... لحيتى أنا ؟ ... »
- عبلة : « وما برحت تلاطف لحيتك ، نعم ... لحيتك أنت ا ... »
- لحيتك هذى ا ...
- عنّرة : لم أظنّنى إلى ما تقصدين ا ...
- عبلة : الأمر جليّ يا عنّرتى ... أردت أن تحلق

لحيّتك من أجلى ...

عنّرة : ولم ؟ ... لم ؟ ...

عبلة : « دلال ، إنها كالذغل المشتبك ... شعرها كسنونو

النصال ... لطالما آذاني ...

عنّرة : ولكن ... ولكن ...

عبلة : أتجنّبي ؟ ...

عنّرة : أفى ذلك ريب ؟ ...

عبلة : فلتخلق لحيّتك إذن ...

عنّرة : أما من ذلك بد ؟ ...

هند : لا بدّ من ذلك ... لا بد ... ل ترى عبلة مبالغ جّبك

إياها ! ...

عنّرة : « لهند ، أيتها الماكرة الصغيرة ... هيهات أن أحضر

لك الأسدَ المصنوع من العجوة ؛ بل سأحضر لك

شربلا فسطيحيا يتسلل إلى خيبتك ، فيلاعبك ببرائته

اللطاف ! ...

عبلة : « لعنّرة ، علام عولت ؟ ...

- عنتره : « لعنتره ، سأتدبر الأمر ... »
- عبلة : الأمير عمارة لم يتوان في الإذعان لما أردت ...
- عنتره : أحلق من أجلك لحيتي ؟ ...
- عبلة : كاد يفعل ، لولا أنك هبطت علينا فجأة ...
- هند : « وقد تناولت سكين عبلة من مكنها ، بهذه السكين أو شك الأمير عمارة أن يحلق لحيتي ... »
- عنتره : « وقد انتزع السكين من هند ، هاتهما ... »
- « يتعسس لحيتي مهبطاً ... »
- حقاً إنها للحية كثرة يغیضة ... شعرها كالنصال .
- « لعبلة ، لطالما آذت وجنتك الذنضة ... سأآتي عليها ... ولكن بشرط ! ... »
- عبلة : « في تأمر وصلابة ، بل دون أي شرط ... »
- عنتره : « صائحاً ، قبلت ! ... »
- « يهرع إلى الخباء ، فيغيب فيه ... »
- « يبدو عظمم راوية عنتره ... »
- عظمم : « محياً عبلة وهنداً على نحو يشير المرح ، أوبرتي الفاتنة عبلة ... طفلي الظريفة هند ... »

كيف حالكا ؟ ...

عبلة : أحسن حال ... وأنت يا عظمم ؟ ...

عظمم : شقينا زمناً بمصاولة ذلك الضرغام العتيء ... ثم
أصبنا منه مقتلاً بعد لآي ...

هند : أكان لك في القتال نصيب ؟ ...

عظمم : أفى ذلك تشككين يا ظريفتي ؟ ... هل غاب عنك

أن عظمما يحسن الصيد في القلوات ، وامتشاق

الحسام في ساحة الوغي ؟ ...

هند : ما عهدناك إلا راوية لعنترة ... تخزن في صدرك

قصيده الرائع ! ...

عبلة : « لعظمم ، وتلازم ركابه طوال يومك ...

عظمم : ولكن لا تنسى يا أميرني أنني أيضاً عضدته الأيمن

في الطعان والضراب ! ...

هند : وأين كنت يا فارسي المغوار حين مضى عنترة يواثب

الأسد ؟ ...

عظمم : كنت أجوب الوهاد والنجد ههنا وههنا لك نافضاً

رماها وصخورها أقتنى أثرَ ذلك الضرغام الشرود ...

هند : بل كنتَ منزوياً خلف صخرة مشرفة ترقب منها عنقرة

وهو يصاول الأسد ... لقد عثروا بك وقد أخذ الفرع

منك كل ما أخذ ...

عظمم : كذب المرجعون ... « لعبلة » أتصدقين بربك

هذه الفِرية ؟ ...

عبلة : إني أصدق فيك أمراً واحداً يا عظمم ...

عظمم : هو أنني سيف عنقرة المصلى على رقاب أعدائه ...

عبلة : بل إنك الطبل الأجوف يقرعه عنقرة فيملاً الجو

بالدوى الصاحب ! ...

عظمم : مولاني الفاتنة تخط حق وتبخسني قدرى ... أن لي

أن أغضب ... هأنذا غضبت ... سأرفع إلى مولاي

ظلامي ... أين هو ؟ ...

عبلة : دخل عنقرة الحباء ...

عظمم : ما له وللحباء الساعة ؟ ...

هند : ذهب يخفّ قليلاً بما عليه ...

عظمطم : أُنْزَمِعِ التَّخْفِيفَ مِنْ ثِيَابِهِ ، وَقَدْ أَقْبَلَ اللَّيْلُ ؟ ...
عبلة : لَنْ يَخْفَفَ مِنْ ثِيَابِهِ ... تَرِيتَ تَرَكَّ عَجْباً يَا عَظْمَطْم ! ...
هند : أَيْ عَجَب ؟ ...
عظمطم : « لَعْبَلَةَ ، أَصْدُقِينِي : أَيْنَ عَنْتَرَةٌ ؟ ...
عبلة : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ فِي الْحَبَاءِ ؟ ...
عظمطم : إِنِّي مَاضٍ إِلَيْهِ ...

« يَهْمُ بِالسَّيْرِ »

عبلة : « تَرَدُّهُ » هُوَ عِنْدَكَ فِي شُغْلٍ ، فَالْبِثْ مَكَانَكَ ! ...
عظمطم : لَا يَشْغُلُ عَنْتَرَةً عَنِّي أَيْ شَاغِلٌ ...

« يَهْمُ بِالسَّيْرِ »

عبلة : قُلْتَ لَكَ الْبِثْ مَكَانَكَ ... إِنْ فِي يَدِهِ سَكِينًا أَحَدٌ مِنْ
حَسَامِهِ « الظَّامِي » ...

عظمطم : أَيَقَاتِلُ بِهَا ضَرْغَامًا آخَرَ ؟ ...
عبلة : يَقَاتِلُ بِهَا ابْئُوءَةً عَاتِيَةً يَتَضَامَلُ إِزَامُهَا الضَرْغَامُ خَزِيَا
وَصَغَارًا ...

عظمطم : يَا لِلْعَجَبِ ! ...

عنتره : « من داخل الحباء ، عبلة ... عبيلة ... عبيلى ! ... »

عبلة : « ألم تأت بعد على تلك العدوّة اللّسّود ؟ ... »

عنتره : « من داخل الحباء أيضا ، إني أقذف بها فى عُرض الحباء ... لا رجعة لها بعد الآن ! ... »

« عطّطم يستم دهنشأ ... بعد لحظة
يدو عنتره حليق الاعية ، ياسطاً لعبلة
ذراعيه »

عنتره : « كيف تَـرَينِى عبيلة ... »

« تحديق فيه عبلة صامتة ، ثم تهفو
على شفّتها ابتسامة يلح فيها عنتره وميض
السخرية »

أسألك كيف تَـرَينِى ؟ ... »

« مطططم فاغر فاه ، شاخص بصره
إلى عنتره »

عبلة : « فى فتور ، أتريد الحق ؟ ... »

عنتره : « قولى ... قولى ... »

عبلة : لم أكن أقدر أن تستبينَ على حياك سمات الانوثة
على هذا النحو ...

عنتره : ماذا تقولين ؟ ...

هند : « لعنتره ، شديداً ما كانت لحيتك تخفى منك هذه الوسامة ! »

عنتره : « لهند في حيرة يشوبها الغضب ، أهني تسخرين ؟ ...

هند : وحقك ما كذبت ولا سخرت ! ...

عنتره : « لعبلة ، أفصحى ... تكلمى بغير ما بدر منك ...

عبلة : « لعنتره ، ليتنى ما رغبت إليك فى أن تنزع هذه
اللحية المهيبة ! ...

عنتره : ألم يكن شعرها كسنون النصال ، تتأذى به وجناتك
النضرات ؟ ...

عبلة : ولكنها عنوان الرجولة ، ومظهر الفتوة ...

هند : متى كانت الرجولة بالشوارب واللحي ؟ ...

عنتره : « لعبلة ، أخطأت إذن فى الاستجابة لك ! ...

عبلة : لست أدري ...

عنتره : كيف ؟ ...

- عظمم : « مجججا ، يا الله من الأعيب النساء ا ... »
عنتره : « لعظمم ، وأنت ... ماذا ترى مني ؟ ... »
عظمم : « متلعثما ، أرى ... أرى ... »
عنتره : « صائحا ، تكلم ا ... »
عظمم : « أرى عنتره ... وكفى ا ... »
عنتره : « حلفت لتصارحنى برأيك فى ... »
عظمم : « ما كتبت عنك رأى قط ... »
عنتره : « إنك لتكتمنه عنى الساعة ... »
عبلة : « لعنتره ، ليس فى طوقه أن يباهرك بجليسة رأيه ... »
عظمم بالرتاء خليق ا ...
عنتره : « بل بالعقاب جدير ا ... »
عظمم : « مولاى ... »
عنتره : « وقد مدّ يده بالسكين لعظمم ، ادخل الخباء وانزع عن وجهك ورأسك كل شعرة فيهما ا ... »
عظمم : « مولاى ا ... »
هند : « أخلق شعر رأسه ولحيته وشاربه جميعاً ؟ ... »

عنتره : « صائحاً ، وحاجبٍيه أيضاً ! ... » لعظمم ، ...
إياك أن تخرج إلينا وفي وجهك ورأسك شعرة
واحدة ! ...

عظمم : ناشدتك الله أن ترحمني ...
عنتره : « يلتقي إليه بالسكين ، انصرف عني ، وأتممير بامرئ !
« عظمم يتناول السكين بيده ... يمضي
إلى الحباء ، وهو يجرق قدميه جراً . . . »
هند : « تلاحق بعظمم ، لا تجزع ... سأعينك على أمرك ...
اطمئن إلى ! ... »

عظمم : « وقد وضع على كتفها يده ، بورك فيك ...
« يمضيان »
عنتره : خدعتني يا عبلة ! ... إلى متى تسوميني هذا العذاب ؟
عبلة : « أيّ عذاب سُممتك ؟ أهو التماسي منك أن تحقق لي
بعض الأمانات الهينات ؟ أهو اختصاصي إياك بحبي
وبوحي لك بمكنون قلبي ؟ ... أهو إباحتي لك
أن تشبّب بي ، حتى تنأثرت في الأقاريل وأصبح
اسمي حديث الناس ومُضغة الأفواه ؟ ... »

عنتره : لقد بذلت كثيراً من أجلكِ ...!

عبلة : « ساخرة ، بذلت كثيراً ... لحية شعناء إن فقدتها

اليوم فلن تفقدها غداً ، وجلد ضرعام قدّمته إلى

لا يتعذر على أحد من مقابلة الحى أن يأتى بمثله :

ذلك كثيرك الذى بذلته من أجلى ... أما أنا فمن أجلك

بذلت أعزّ ما ترضى به كل فتاة على أى أحد ...

بذلت سمعنى ... سمعنى ...!

عنتره : حرصت على أن أسبغ عليك صفات البهاء

والرؤاء ! ...

عبلة : ولكنك حرصت أول ما حرصت على أن تبلغ

المجد بسم أعددته لك ... بل إنى لأدفعك إلى الصعود

فيه دفعاً ... لولا شغفك بى لما سمت همتك إلى

خوض موقعة ، ولما جادت قريحتك بيت من

قصيدك الرنان ... بشجودك فضلى ! ...

عنتره : كيف أجحد فضلك ، وأنت مُنيتى ، وجبك مله

جوانحى ؟ ...

عبلة : لشدّ ما يسىء إلىّ هذا الحب ا... ما كان أغنانى عنه ا...

صار اسم عبلة نهياً للتنادر والسمر ، تلوكه الألسن ،
ويتقول عليه الأفّاكون ...

عنترة : حسبك ... ما أرى لى إلا أن أرحل عن هذه الديار ،

حتى تخرس تلك الألسن ...

« فترة صمت ... تدنو عبلة من عنترة ،

وتجلس بجانبه »

عبلة : أتترك الحى ؟ ... تتخلى عن عبلتك ؟ ... من يدرا

إذن عن القوم غارة المعتدى ؟ ... ومن يزود عن عبلة

عيون الطامحين من الرجال ؟ ... حقاً لقد صدق

الأمير عمارة الكندى ا...

عنترة : ماذا قال ؟ ...

عبلة : قال : « ستصبحين يوماً فلا ترين لعنترة فى ديارك من

أثر ... لهجر نك لا محالة ... » لقد أسرفت يا عنترة

فما أمّلت منك ا...

« تنباكى »

- عنترة : على الرغم مني أزمع الرحيل !
- عبلة : كيف تسوّل لك نفسك أن تهجرني ؟
- عنترة : مادام هذا الهجران يَكُفُّمُ عنك أفواه
المتقوّلين !
- عبلة : صمتا يا قاسي القلب ...
- « تنبأكي ... »
- عنترة : « في ضيق وحيرة ، أما وقد كان من أمر شعري فيك
ما كان ، فلبس لنا إلا حيلة واحدة !
- عبلة : أية حيلة ؟
- عنترة : الزواج ...
- عبلة : أتمرح أم تقول صدقاً ؟
- عنترة : الأمر جيدٌ ... نتزوج الآن ... الساعة ...
على الفور ...
- عبلة : ولكن ... لم هذا التعجّل ؟
- عنترة : إن ألسنة الناس قد ...
- عبلة : « مقاطعة » اخطبني إلى أبي أولاً ...

- عنزة : أوّاه من هذا التلكنؤ ...
- عبلة : لا مخلص من أن تخطبني أولا ...
- عنزة : أبوك الآن في الحيرة يفد على المنذر ...
- عبلة : نتظر أوّته ...
- عنزة : لا انتظار ولا تسويف ... إني خاطبك إلى نفسك ...
- أرضيتني بعلا ؟ ...
- عبلة : رضيتك ... ولكن ...
- عنزة : وماذا بعد ؟
- عبلة : رانية إليه ، ليس انتظار أيام معدودة بكثير ...
- عنزة : « صامحا » لماذا ؟
- عبلة : حتى تنبئت لحيتك ، وتملا عارضيك ا
- عنزة : لحيتي ؟
- عبلة : أتخسني أزواج غلاماً أمرد له خدّ أملس ؟
- عنزة : واعجباه ا
- عبلة : لا تعجب ... أمر الزواج لا يبرم في طرفة عين ...
- هناك ما يشغل بالي غير هذه اللحية ...

عنبرة : بأى شيء بالك مشغول ؟
عبلة : «توسد رأسها صدره ، وتداعب خده ، :
أخشى أن أفضى إليك بخبيثة نفسى ، فلا تقرّنى على
رأى ! ...

عنبرة : أفصحى ... كل ما تلفظينه من قول حبيب إلى ...
عبلة : يا أُملى العظيم ... أنصت لى ... كاشفتنى أمى حين
حضرته المنية بأننى لن أوفق فى زواجى إذا لم يهد
إلىّ بعلى يوم الزفاف حجر الزبرجد ...

عنبرة : مطلب يسير ... الأحجار الكريمة ملء الأسواق ...
عبلة : إنه حجر عزيز المنال ، ماأظنه يعرض فى الأسواق ...
على أننى لا أرتضى أن تجلب لى حجراً تداواته قبلى
أيدي الحسان ؛ بل أشتهى حجراً يحمله حبيبي إلىّ من
موطنه الأصيل ! ...

عنبرة : وأين موطنه ؟ ...
عبلة : أرانى مغالية فيما أريد ، فلنرجىء الزواج ، حتى
يَرجع أبى ...

- عنتره : أخبريني أين موطن حجر الزبرجد ؟ ...
عبلة : على مسيرة شهر وبضعة أيام ... في أقصى بلاد فارس ! ...
- عنتره : « مغمغما » أقصى بلاد فارس ؟ ...
ديب واقفاً ، أنت تحتارين لتقصيني عنك ... !
عبلة : بل تمنيتُ أن تجيئني إلى رغبةٍ تعلقَت بها نفسي ! ...
- عنتره : طالما أجبته إلى رغباتِ كِثار ! ...
عبلة : إنك لتمنُّ عليَّ ... وإنك لتَضيقُ بمطالبي ... لقد صدق الأمير عمارة الكندي إذ قال ...
- عنتره : ألا فلتنسفِ الصواعقُ أميرك الكندي نفساً ! ...
عبلة : هديء من روعك . . . ولتنس ما رغبت إليك فيه ...

« لحظات صمت .. تنشد عبلة القطعة

التالية : »

أنت للعين ضياءُ أنت للروح دواء

أنتِ يا عبلة أنسٌ لفؤادى وهناك
حينما ترضين عني بملا القلب الرجاء
فإذا للدينا نعيمٌ وإذا الكون صفاء
وإذا بي في حبورٍ وابتهاجٍ وازدهاء

عنتره : لماذا تنشدنين هذه الأنشودة الآن ؟ ...

عبلة : أطلب بها سلوة لفؤادى ! ...

عنتره : قلبي لم يعد يهفو لتلك الأنشودة ... إني عنك
مرتحل ...

عبلة : إلى أين ؟ ..

عنتره : « وهو يلقي إليها نظرة مهمة ، إني عنك مرتحل ...
وكي ! ... »

« يظهر عظمم حليق اللحية وشعر
الرأس ... تظهر خلفه هند ... يلتفت
إليه عنتره ... »

إلى يا صديقي الوفيّ إلى ... سرتحل معاً ... سنفارق
هذه الديار ...

هند : ترتحلان ؟ ... لماذا ؟ ... ومتى تعودان ؟ ...

عنتره : « وقد أحاط ساعده بعظمي ، يقول لنفسي :
سنعود حين تعود إلى حبيتي ، ويكتسى وجه عظمي
بالشعر الغزير ... »

« ينصرفات »

الفصل الثاني

« المنظر السابق عينه ، عيلة جالسة على
صخرة قبالة خبائها منسرحة الخاطر ، تفكر
تنهض متهادية في سيرها »

عيلة : « تترنم ، :

فيا نسيماتِ البان بالله خبري ...

عيلة عن رحلي بأى الموضع
ويا برق بلغمها الغداة تحيى
وحى ديارى فى الحمى ومضاجى
« يقدم مالك أبو عيلة ، بسمها تترنم »

مالك : لا تفشين تذكرينه ا ...

عيلة : أبت ا ...

مالك : حال الحول على ارتحاله ، وما برح لسافك لاهجاً

بشعره ... !

عيلة : إن هذا الشعر وجيب قلبه يبعث به إلى مع النسيم ا ...

مالك : أو مع البروق والرعود ...

- عبلة : أصبح اسمى ملء الدنيا وشغل الناس ، يطوف به
الشعر في سماءات فارس وبلاد الروم ... يعبر الأنهار
والبحور ، وهو حينما نزل يترك نفحة من عطره ،
ثم يحلُّ بعد طول التَّطواف هذه البادية ليهبط
على صدرى فيستقر من قلبي في مستودعه الأمين ا ...
- مالك : وما ارتفاعك بهذا كله ؟ ...
- عبلة : أليس هذا رجاً عظيماً ؟ ...
- مالك : إنه لرج ... في عالم الأوهام ا ...
- عبلة : لولا الأوهام يا أبت لما قامت للحقائق أوزان ا ...
- مالك : كلام أجوف لقننك إياه عنبرة فأحسنت ترديده ...
- خبريني : ماذا بعد في غيبته ؟ ... أخشى أن يكون
قد أدرك الفتور حبه ا ...
- عبلة : إذن ما بال هذه الرسائل التي تتواتر على ا ؟ ...
- مالك : الرسائل التي يبعثها إليك مع الريح والبرق والرعد ا ...
- إنها تحيات عابرة ... تحيات قديمة تقطع الطريق
إليك في أشهر طوال ... ما علمك الآن بالجديد

من أخبار عنتره ؟ ...

عبلة : وفيّ في حبه ، لا ينقطع لحظة عن التفكير في
عبلة . . . وهو يحوب الأقطار باحثاً منقباً عن حجر
الزبرجد ! ...

مالك : لو كان في رأسه مُسْكَةٌ من عقل لما راح يطوى
رحاب الأرض طلباً لهذا الحجر ! ...

عبلة : لقد آثر الرحلة والاغتراب ابتغاء الحجر ! ...

مالك : كان في وسعه أن يبلغ رضاك دون أن يفارق الديار ...
عبلة : لقد أمرته فأنمر ! ...

مالك : لا أحبُّ الرجل ينصاع لفتاة تعبت به عبثَ الرياح
بأغصان الشجر ... إن رجلاً هذا شأنه لا يُرجى
منه خير ! ...

عبلة : أنا أعلم منك يا أبتاه بأصناف الرجال ...

مالك : عبلة ! ... أنتِ بنفسك معتدّة ، فاحذري أن يوردكِ
الغرور موارد الشطط . . . أتعلمين إلى أيّ المجاهل
طوّحت بهذا الشاعر الميطواع الخنوع ؟ ...

- عبلة : أعلم أنه يرتاد أصقاعاً تحفّ بها المخاطر ا ...
- مالك : وقد يلقي بها حتفَه ا ...
- عبلة : لا يلقي حتفَه من يابح لسانه باسمي ... إن اسمي
تعويذة ترد عنه الغوائل ...
- مالك : حتى غوائل الحب ؟ ...
- عبلة : لن يحبّ سواي ... إن قلبه في يدي ا ...
- مالك : « متضاحكا » أو ترك قلبه عندك رهينة ؟ ...
- عبلة : بل تركه ملائِكَ يميني ا ...
- مالك : عذارى الروم يا عبلة يسعين الرجال بأجسامهن
البضة المشرب يياضها بحمرة الشفق ا
- عبلة : لن تقع عينه على أجمل مني ...
- مالك : حسان فارس يجتذبن المهج بسحر عيونهن اللواتي
تتجمع فهن ألوان قوس قُزَح ...
- عبلة : لن تقع عينه على أفن من عيني ...
- مالك : « يربت كتفها » ستلبثن يا عبلة غريرة غافلة حتى
يجيشك عنثرة يوما بمن تخيرها دونك زوجاً ،

وإذن يتبين لك أنك فقدته !

• • • • • بصمت لحظة •

كما تفقدن الآن الأمير عمارة ... !

عبلة : الأمير عمارة ؟

مالك : عظيم قومه جاهاً وثراء ، وفقى عشيرته وسامة
وكياسة ... « يدنو منها ، ذلك الذى هنا إليك فؤاده
فكان حفظه منك التمتع والصدود ...

عبلة : لم أدرك أن الأمير أولانى نظرة عطف ...

مالك : بل أدركت ... ولكنك تباعدن بينك وبينه إبقاء
على ذلك الأسود الحشن الذى لم يعد يصلح
إلا هولةً يتفزع منها الأطفال !

عبلة : لا تنس يا أبت أن ذلك الأسود الحشن هو سيف
القبيلة البتار ، وقلها الخفاق ...

مالك : وأين منا اليوم ذلك السيف وهذا القلب ؟ ... إنه
يتخبط فى مجاهل الأرض ، لا يعرف له أحد من قرار
ولا سكن ، وقد نسينا فنسيناه ... أما الأمير

عمارة الكندي فهو منا على قرعة ، وقد جاءك
الآن خاطباً ، فاذا تقولين ؟ ...

عبلة : وهل خطبني الأمير خطبة صريحة ؟ ...
مالك : قديم على أمس يتدين الأمر ، ويرغب في قول
فصل ...

عبلة : أرجو منك يا أبت ألا تتعجل في إجابة الأمير إلى
طلابته ... بعض الروية خير ! ...

مالك : بعد صمت قصير ، يلوح لي أنه بدعجاء
مُعْجَب .

عبلة : بدعجاء ١٩ ...

مالك : إنها لقادرة أن تسببه ...

عبلة : إن كان الأمير يهواني حقاً ، فلن تفتنه
دعجاء ! ...

مالك : اعلى يا عبلة أنه سيختارها زوجاً إذا رددته
ورفضت خطبته ! ...

عبلة : الأمير يا أبت لا يضمير لي في قلبه حباً ... كيف

- تسنى له أن يفكر في دعجاء وهو لى محجب ؟
- مالك : إنه يقبلها زوجاً ليكيد لك كيداً ... سيغدق عليها من
ثرائه وسلطانه ما يجعلها أميرة البيداء !
- عبلة : إنها وسيلة للانتقام وضيعة ، لا يرضاها لنفسه إلا خفاف
الأحلام ... ما أحسب عنتره يلجأ إلى ذلك مهما يكن
من أمرى معه !
- مالك : إذن أنت تريدين الأمير على أن يظل أبداً الدهر
شقيماً بك ... يخطب ودك فتنصاهميين ، ويتعذب في
سبيلك وأنت عنه تتشاغلين !
- عبلة : « مزهوة ، هو الحب يا أبتاه ...
- مالك : إن الأمير لأرجح عقلا ، من أن ينصاع لمثل هذا
الحب ... سيتزوج دعجاء ، ويروض قلبه على أن
يسلوك وينسأك ...
- عبلة : شأنه وما يريد !
- مالك : ثم ماذا ؟
- عبلة : أنت على إسعادى حريص ... فناشدتك الله أن

تبلىغ الأمير ردى إياه ...

مالك : ما أرى سعادتك إلا فى زواجك بالأمير ...

عبلة : أحبت عنتره ، وسأبقى لحبه وفيئة ، ولعمده صائنة ...

إنّ بين جنبيّ قلباً ا ...

مالك : دى فكر لحظة ، سنتدبر الأمر ...

عبلة : دى عزم ، إنى أمينة على حبي ، وهيات أن أخون

قلبي ا ...

مالك : دى دنو منها ويلاطف خدها ، لا تسارع إلى رفض

خسطة الأمير ...

« تنصرف عبلة ، فيتبعها مالك بنظراته

حنو وحيرة . . . يقبل سراقة . . . »

سراقة : شيوخ القبيلة يتفقدونك ، ويتساءلون : أين أنت ؟ ...

مالك : وفيم ؟ ... هل جدّ من أمر ؟ ...

سراقة : لتبرموا الرأى فيما شجر من خلاف بيننا وبين

بنى فهد ...

مالك : دى جبرا ، ليسوا فى حاجة إلى رأى ... فليستفهموا

ما يشامون ! ...

سراقة : د يصعد فيه النظر هنية ، مابك ؟ ... أجهود أنت ؟ ...

مالك : لستُ بالجهود ... لا شيء بي ... لا شيء ! ...

سراقة : أنت مهموم ورب الكعبة ! ...

مالك : أ كذلك تجدني ؟ ...

سراقة : عيناى لا تكندِ باني ! ...

مالك : وهل تجهل سبب همي ؟ ...

سراقة : من أين لي أن أعلمه ؟ ...

مالك : ألم يصادفك في طريقك إلى شخص ذاهب ؟ ...

سراقة : صادفتني عيلة ...

مالك : وتسالني بعد ذلك : فيم همي ؟ ... !

سراقة : ماذا كان من شأنها معك ؟ ... !

مالك : إن لها رأساً صلباً لا يلين ...

سراقة : وأنت يا مالك لك قلب لين لا يصلبُ إزاهل

أبدأ ...

مالك : ماذا تريدني أن أصنع ؟ ..

سراقه : كن لها أبا ... أبا شديد المراس ... أبا كسائر الآباء
تحت سماء هذه البيداء ...

مالك : أفاتك يا سراقه أنها وحيدتي ، وأنى رزقتها
وقد أوفيت على الأربعين ، وأنها ...

سراقه : فقدت أمها وهي طفلة رضيع ، فحسرت حنان
الأمومة ... ولكنني آخذ عليك أنك جاوزة
في الرفق بها والتدليل لها حنان الأمهات ... أنسيت
يا مالك أنك أغضيت على تشيب عنزة بها حتى ملأ
شعره الأصقاع ، ثم أبجت له أن يتحدث في خطبتها
وقد ذاع من أمر هواه معها ما ذاع ، فتمردت على
معرف الأسلاف ، ولم تعبأ بسنة الأعراب ...

مالك : ألا بُعداً لهذا الأسود الثرثار ... طالما أقض
مضاجعي بما خاض فيه من لغو الحديث ...

سراقه : كما أقض غيره مضاجعك من قبل ...

مالك : من تقصد يا سراقه ؟ ...

سراقه : أنسيت جندبا والصفطاف وابن الضحضاح ... أولئك

الذين شغفستهم عبلة حبا ، ثم أورتهم شقاء ، ولم تجب
لهم سُؤلا ...

مالك : إني لأعجب لماذا لم أضطرّها إلى الزواج
بابن الضحاح ؟ ... فتى عزيز الجانب ، على الهمة ،
كريم المحتد ... ذكّرني يا سراقه ...
لأرغمّنها على الرضا بالأمير عمارة ، حتى لا يفلت
من يدي ...

سراقه : لقد أوفت عبلة على العشرين ، وما انفكت تلهو
بقلوب الفتيان ...

مالك : لا يروقها إلا ذلك الأسود البغيض ...
سراقه : أخشى أن يتناول عليها الأمد ، فتبقى عانسا لا يابه
لها أحد ...

« يبدو بجير »

بُجَحْنِير : « لمالك » شيوخ القبيلة ينتظرون مقدّمك ... الأمر
جدّ ... بنو فهد ...

مالك : « متعجلا ، علمت ... علمت ... هلمّ بنا ندبّر الأمر

فيا يريد منا بنو فهد ...

« ينصرف الثلاثة : مالك . وسراقة ، وبجير ... »

بعد لحظة تظهر عبلة وهند ودعجاء . . . »

هند : « لعبلة ، أئمة جديد من نيا عنتره ؟ ... »

عبلة : لا ينقطع لأخباره عنى ورد . . ما من غير يجتاز

الطريق حتى ينقل إلى من شعر عنتره ما يملأ أفواه

الرؤكبان ... !

دعجاء : أين هو الآن ؟ ...

عبلة : تعلمين أنه رحل ليبحث لى عن حجر الزيرجد ...

دعجاء : لقد طالت غيبته فى البحث عن هذا الحجر ...

هند : ألمّا يعثر عليه ؟ ...

عبلة : إنه لم يجده ...

دعجاء : هيبه لم يجده ... أبطل هائماً على وجهه طول عمره ؟ -

عبلة : لقد أمرته أن يحضره ... وسيفعل لا محالة ! ...

دعجاء : وفيم كل هذا العناء ؟ ...

عبلة : فى سبيل حبي ! ...

- هند : يا لحظك البسام ا ...
- دعجاء : وهل يقتضى الحب هذا العنت كله ؟ ...
- عبلة : من أحبنى استهان بالشدائد من أجلى ا ...
- دعجاء : ولماذا تعرّضين للمخاطر حياته ؟ ... إنك إذا فقدته
فقدت الحبيب والحب معاً ا ...
- عبلة : حب مثلى لا يموت بموت صاحبه ، إنه لحب مكتوب
له الخلود ... دتصمت هنيهة ، ... ذكرتنى شأنا :
يحوم الأوير عمارة حول ديارنا هذه الأيام ، على غير
عادة وإلّف ا ...
- هند : ترامت إلينا أطراف أحاديث ا ...
- دعجاء : لآى شأن يحوم ؟ ...
- عبلة : من أجل عادة حسناء ا ... إن الرجل لا يحوم حول
الديار إلا من أجل امرأة .. إنه كالحُر يُعَسّ متشمها
حول جحور الجرذان لا يغمُض له جفني ... ا
- هند : أجرذان نحن فيما ترين ؟ ...
- عبلة : بل فيما يرى الرجل يا هند ...

هند : أَيْحَسَبُ الرجل أنه مستطيع أن يتصيدنا كما يتصيد
القط فأره ١٤ ...

عبلة : إنه لينهج نهج القط في اقتناص فريسته ١ ... يترصد
لها مخاتلا ، حتى إذا تاحت الفرصة انقضَّ عليها ، فرة
يلاطفها ، وأخرى يناوشها ... ويظل معها في معاينة
إلى أن تتخاذل قواها ، فيطش بها بطشته
الكبرى ... فلنكُنْ على حذر ١ ...

دعجاء : يلوح لي أن بين الرجال من يحمل بين جنبيه نفساً
أكرم من نفوس تلك القِططة ١ ...

عبلة : « لدعجاء ، ربما ... »

دعجاء : لم تخل الرجال من ذوى همة ونُبل ...

عبلة : كالأمير عمارة الكِندي ١ ..

دعجاء : « دهشة ، وكثير غيره ... الحق أنى لست على بَيِّنَةٍ
من نفس الأمير ١ »

هند : « لعبلة » تقولين إنه يحوم حول الديار من أجل
حسناء ١ ... فمن تكون ؟

- عبلة : اخزري ...
- هند : « متضاحكة ، لعلك هذه الحسناء !
- عبلة : ولم ؟ ... أو أقفرت القبيلة من فتاة سواى تصلح
أن تهفو إليها أفئدة الرجال ؟ ...
- هند : ينظر الأمير عمارة إليك وحدك نظرات وجد
وهيام ... لم يعزب ذلك عن إدراكنا ! ...
- دعجاء : وإنه لراج أن تطارحيه الحب ...
- هند : « لعبلة ، ولكنك لن تفعلى ... وإلا فأين وفاؤك
لعنصرة ؟ ...
- عبلة : « لهند ، نسيت أن تقرلى أيضاً : وأين وفاؤك
« لصديقتك ، ؟ ... وإن للصداقة كرامة يجب
أن ترعى ! ...
- دعجاء : « لعبلة ، أيتها صديقاتك تعنين ؟
- عبلة : « لدعجاء ، ثقي يادعجاء أنى إن أقف عتبة فى طريقك
إلى قلب الأمير ...
- دعجاء : « لعبلة ، ما أدرى عن أى أمر تتحدثين ؟

عبلة : « لدعجاء ، لمَ التجاهل ؟ ... أعنّى تخفين ...
ما تَقْصِدِين ؟

دعجاء : « لعبلة ، ما أخفيتُ شيئاً ...

عبلة : « لدعجاء ، حسبك كتماناً ... لا تحسبني أني أحول ...
بينك وبين زواجك بالأمير ... لقد أذنت لك ...
بهذا الزواج ١١

دعجاء : « لعبلة ، ناظرة في دهشة وغيظ ، تأذنين بهذا ...
الزواج ١٢ ...

عبلة : « لدعجاء ، إني أنزل لك عن الأمير عن طيب ...
خاطر ...

دعجاء : « لعبلة ، وإذا لم تنزلي ؟ ...

عبلة : « لدعجاء ، أنتِ على علم بأن الأميرَ بي متيم ...

دعجاء : « لعبلة ، ربما كنتِ واهمة ا ...

عبلة : « لدعجاء ، أظننتُ أن الأمير قد تعلق بك ؟ ...

هيات لك أن تأخذه إلا من يدي ا ... قلت ...
لك إني راضية أن أهبك إياه . . . إني لعهد

صداقتنا وقيّة ...

دعجاء : د لعبلة ، لو آنس الأمير منى مخايل عطف لسارع
إلى خنطبتى ا ...

عبلة : د لدعجاء ، هيات لك أن تأخذه إلا من يدى ...

دعجاء : د لعبلة ، أشكر لك ... لا أطلب شيئاً منك ...

هند : ولم لا يتم الأمر على هذا الوجه : عبلة لعنترة ،
ودعجاء للأمير عمارة ؟ ...

عبلة : إلى هذا قصدت ا ...

هند : د لدعجاء ، ما بغت عبلة إلا هناءك ... إنها تقدّم لك
الأمير ...

دعجاء : د لهند ، يا لك من طفلة ا ...

عبلة : د لدعجاء ، لم تعد هند طفلة ... لقد أتمت

الخامسة عشرة ... لقد أصبحت غادة هيفاء ...

دعجاء : ولكنها ما برحت تردّد لغو الأطفال ا ...

عبلة : د لدعجاء ، أتتالين منها ؛ لأنها أكدت لك رضى عن

زواجك بالأمير ؟ ...

دعجاء : « لعبلة ، أنا إن أردت الأمير لم يحلُ بيني ،
وبينه أحد ... »

عبلة : « لدعجاء ، كما أردتِ عنقرة من قبل ا ... »

دعجاء : « لعبلة ، لم أنافسك فيه ؛ لأنه لا يروقي ... »

هند : « لدعجاء ، والأمير ؟ ... »

دعجاء : « قد يكون لي معه شأن ... »

عبلة : « لدعجاء ، ألا نخشعين أن أنافسك فيه ؟ ... »

دعجاء : « لعبلة ، إذن فانت تتطلعين إلى اثنين : عنقرة ،
والأمير ا ... »

عبلة : « لدعجاء ، لست أنا المتطلعة ، بل هما المتطلعان ، وإن
ذلك ليسبب لي كبير عناء ... »

هند : « لعبلة ، لقد وعدتِ ألا تحولي بين دعجاء
والأمير ... »

عبلة : « لهند ، ما زلت عند وعدى ... »

دعجاء : « لعبلة ، لا يعنيني أن تبسري بوعدك أو أن
تخلفيه .. ا »

- عبلة : يا لكبرياء ! ... ويا لكفرور ! . . .
- هند : « لدعجاء ، على ماذا عوّلتِ إذن ؟
- دعجاء : « لهند ، سأرى رأيي ، لا أنصاعُ لرأى أحد ...
- « تنصرف مهتاجة »
- هند : « لعبلة ، يلوح لى أننا قسوناً على دعجاء ...
- عبلة : بل هى على نفسها قسّت . . . إنها لمحقاء !
- هند : لقد سلبتِها بالأمس عنتره ، وأنتِ اليوم تراحمينها
- على الأمير ! . . .
- عبلة : ما سلبتُ ولا زاحمتُ ! ... عنتره هو الذى أقبل علىّ ،
- والأمير هو الذى يتودّد إلىّ ، فإذا كنتِ فاعلة ؟ ...
- هند : شأن الأمير غير شأن عنتره ! ...
- عبلة : ماذا تريدن أن تقولى أيتها الصغيرة ؟ ...
- هند : أما قلتِ منذ قليل إنى لم أعدُ صغيرة ؟ ! ...
- عبلة : أنتِ صغيرة حتى اليوم ، وستظلّين كذلك معى
- دائماً ! ... ولكننى يسرنى أن أستمع إلى حديثك ...
- تكلمّى : ماذا تعلمين من أمر عمارة ؟ ...

هند : لقد شَغَفَتْهُ حُبًّا ، يَبْدُ أَنَّهُ بِدَعْبَاءِ مُعْجَبٌ ! ...

عبلة : بعض الإعجاب إشفاق ! ...

« تهم هند بالخروج »

إلى أين ؟ ...

هند : إلى دعْبَاءِ أُسْرِي عَنْهَا ؟ ...

« تنصرف هند ، عبلة منفردة تفكر ... »

يبدو الأمير عمارة الكندي في خطا هينة ،

عبلة تحس مقدمه »

عبلة : « ملتفتة إلى الأمير ، الأمير عمارة ؟ ... »

« فترة سكوت »

عمارة : أأكون قد عكرتُ عليكِ صفوَ أحلامك ؟ ...

عبلة : أيتها أحلام ؟ ...

عمارة : أنتِ مشغولة الخاطرة بأمر ! ... ذلك واضح على

جبينك الناصع ! ...

عبلة : ربما كنتَ على صواب فيما قَدَّرْتَ ...

عمارة : أنتِ مشغولة الخاطر بشخص ! ... ذلك جلي في

عينيك النجلاوين ! ...

- عبلة : أى شخص ؟ ...
- عمارة : الذى تعرفين ا ...
- عبلة : أصدق هو ؟ ...
- عمارة : أكثر من صديق ا ...
- عبلة : « ترنو إليه فى تخايب وتدلل ، أحسبتنى هيمنى بأحد ؟ ...
- عمارة : أخالية القلب أنت إذن ؟ ...
- عبلة : « متضاحكة ، مثلك يا خالى القلب ا ...
- عمارة : ليس قلبي بخال يا عبلة ... وأنت بذلك عليمة ا ...
- عبلة : « متضاحكة ، فى عبث ، أعلم أن الأمير يحوم حول الحمى من أجل فتاة ... وإن فى حيننا لحسانا فواتن ا ...
- عمارة : هنا فتاة تفوق أترابها حسناً وفتنة ...
- عبلة : إن الناس ليتحدثون بجهال دجاء ا ...
- عمارة : دجاء جميلة ... لا ينكر جمالها أحد ... ولكننى عَنِيتُ ...

- عبلة : « مقاطعة ، أتراك عنيبت هندا ؟ ...
- عمارة : تعرفين من عنيبتُ يا عبلة ! ...
- عبلة : هل غاب عن فطنة الأير أن اتى يَعهنِها هو قد تعلق بها
فتى من القبيلة لم يخف أمره ؟ ...
- عمارة : فتى قد ارتحل إلى ديار نائية ... وأكبر الظن أن
المقام قد طاب له هناك ...
- عبلة : ما فارق الديار إلا ليبحث لقناته عن حجر الزبرجد ...
- عمارة : حجر كريم المنهر ، ليست قيمته بزهيدة ... ولكن
العشور عليه لا يستنفد كل هذا الجهد ! ... إن
الأسواق به ملاءى ... لو طلب إلى هذا الحجر لقدّمته
في طرفة عين ! ...
- عبلة : هذا حق ... إن ثمنه لا يعيبك ! ...
- عمارة : في مُكنتى أن أقدم مائة قطعة من حجر الزبرجد ...
لا قطعة واحدة ! ...
- عبلة : « معاينة ، وما قيمة هذا الشيء الذى تقدمه مستطيحاً
في طرفة عين أيها الأير ! ؟ ...

عمارة : أليس هذا الحجير طلبة الفتاة ؟ ...
عبلة : إن طالبتما أبعد من ذلك مرمى وأعزُّ شأنًا ! ...
عمارة : أى مرمى ؟ ... وأى شأن ؟ ...
عبلة : عليك أن تتبين ذلك بنفسك ، لكى تزدلل لك
القلوب ا... !

عمارة : أرغب إليك فى أن تلمقننى علم ما أجهل ...
عبلة : د فى دلال ، أأنت تجهل ذلك حقاً ؟ ...
عمارة : د فى وجد وشغف ، يبدو لى أنى حين أكون معك
أجهل كل شيء ... أجهل الدنيا والناس ... بل أجهل
نفسى أيضاً ... لأننى ليختلط علىّ أمرى ، فلا أعى
ما أقول ، ولا أدرى ما أهنع ؟ ... أريد أن
ترشدنى ... أريد أن تقول لى : افعل هذا ، ودع
ذاك ، فإنك لن تلقى منى إلا سمعاً وطاعة ... يا عبلة :
مرينى ... ماذا تبغين ؟ ...

« يجنو حياها »

عبلة : حسبك ... انهض ...

« تأخذ بيده . . . يقف الأمير عمارة
أمامها مضطرباً حائر النظرات . . . ترنو
عبلة إليه بسامة الثغر . . . تقول له في صوت
لين النغم » :

بدأت تفتن إلى سريرة المرأة يا صاح . . .

عمار : « منة مشاء ، أحقا ؟ » ...

عبلة : هذا ما أراه . . .

عمار : إذن أعينيني على بلوغ أمنيتي ...

عبلة : أية أمنية لك ؟ ...

عمار : أن اقتنص قلب التي أهوى ...

عبلة : أفنى طوقك أن تفتن من قلبها ؟ ...

عمار : لست على أية حال أقلّ دراية من مزاحمي ...

عبلة : من أين لك أن تعلم أن مزاحمك اقتنص قلبها ؟ ...

قلبه هو الذي وقع في الشراك . . .

عمار : تزعمين أنها لم يهف قلبها إليه ؟ ...

عبلة : لا ريب أن بها عطفاً عليه ... ربما هويّشه يوماً . . .

عمار : إذن لي أن أوّمل في هواها ...

عبلة : إنها لا تقف دون أملاك أيها الأمير ... ولكن

اعلم أن الطريقَ إلى قلبها تتناثر فيه الصعابُ

والأشواك ! ...

عمارة : لأذلنَّ هذه الصعاب مهما يكن من أمرها ، ولأحتملنَّ

هاته الأشواك مهما يكن من وخزها ...

عبلة : أواثق أنتَ بنفسك ؟ ...

عمارة : أعظمَ الثقة ! ...

عبلة : وقد وقفت وقفة التامر ، أفصح عما تريد ، أيها

الأمير ، قل صريحاً ... ماذا تبغى ؟ ...

عمارة : أبغى خِطبتك يا عبلة ...

عبلة : هل يعرف الأمير مهرى ؟ ...

عمارة : لكِ فوق ما تطلبين ... إن العظيمَ في سبيلك

ليهن ! ...

عبلة : أتعرفُ انياق التي تسمَّى بالانياق العُصفورية ؟ ...

عمارة : أعرفها حق المعرفة : قُدودها كقدود الظباء ،

وأوبارها كشعق الدياج ؛ إذا انطلقت تعدو

فى الیاء لم یسبقها الظلیم ، وإذا تُنَحَّرت وطعمتِ
من لحمها ألغیته أشهى من لحم الحُمْلان ...

عبلة : « فى عزم ، وقد عقدت یدها على صدرها ، أطلبُ
منها ألفاً ...

عمارة : ألفاً ١٤ ...

عبلة : مطلب عسیر ؟ ...

عمارة : الحصول على مائة من هذه النیاق يعد إحدى

المعجزات ... ! إنها عزیزة المال ، نادرة الوجود ...

وهى مشتة فى مختلف النور ، يتطلب جمعها ضرباً

فى البلاد ، وغیبة تستغرق الأشهر الطوال ...

عبلة : لا أقصد أن أجسمك ما لا طاقة لك به ...

عمارة : قد رى تمن ما تطلبین من هذه النیاق ، فأبدله

لك عاجلاً ...

عبلة : ما طلبتُ فضةً ولا ذهباً ، بل نیاقاً ...

عمارة : وددتُ أن أطوفَ فى أنحاء الأرض لأجلب لك

تلك النیاق ، ولكن الرحلة تؤخر زواجنا زماناً ...

عجلة : لم يقلْ عذرة مثل هذا القولِ ؛ بل ارتحل في طلب
ما أردت وهو راضٍ بخور... لقد فارق الديارَ
وهو يترنم بهذين البيتين :

أذلُّ لعبلة من فرط وجدى
وأجعلها من الدنيا اهتمامى
وأنتشلُ الأوامرَ والنواهى
وقد ملك الهوى منى زمامى

عمارة : كفى يا عبلة ...

عبلة : لا تنس أن دعجاءٍ لا تطلب ألقاً من النياق
العصفورية ! ... فتاة ليست بطموح ... إني لها
أخت وفيّة ... أستطيع أن أكونَ رسولك إليها
أسألك : ما مـها ؟ ...

عمارة : يا عبلة كفى ... كفى ...

عبلة : ماذا أيها الأمير ؟

عمارة : هبيني ضمنتُ لك أن أسوقَ إليك النياقَ الألفَ
التي طلبتها ، أنت قسمين على أن تكونى لى ، لا ينازعنى

فيك منازع ؟ ...

عبلة : إن في الحصول على هذه النياق لمشقةً أيَّ مشقة ، فيلِمَ

تُكَلِّف نفسك هذا العناء ؟

عمارة : سألتُك : أتُقسَمين على أن تكوني لي زوجاً إذا

سقتُ إليك النياق ؟

عبلة : « وهي تحديق فيه ، أقسم على ذلك ! ...

عمارة : أتُقسَمين على أن تنتظريني مهما تَطُلَّ غَيْبَتِي ؟

عبلة : أقسم على ذلك ! ...

عمارة : « في حزم وتأكيد ، لأجلِبَنَّها لك ألفاً من النياق

الغُصْفورية الأصائل كاملة !

عبلة : مَرَحْنِي أيها الأمير ! ...

عمارة : إني راحل من فوري ... جوادى خلفَ هذا الخباء

ينتظرنِي ...

« يشير إلى خباء بين الأخوية المتناثرة

في ساحة الحى »

إلى الملتقى يا عبلة !

عبلة : إلى الملتقى القريب أيها الأمير ...

« يحيا جيش العاطفة ، ويمشى مهرولا ،
تبعه بنظرات زهو وانتصار... تظل رائية
إلى طريقه الذى غاب فيه ... بعد قليل تقبل
من طريق آخر هند ودعجاء باكتين ،
تسرع إليهما عبلة متسائلة . . . »

عبلة : ما بكما ؟ ... فيم بكاؤكما ؟ ... تكلما ...

هند : أما تראى إليك الخبر ؟ ...

عبلة : أى خبر أردت ؟ ...

دعجاء : عنزة ... عنزة ...

« تشرق بعرتها فلا تقدر على مواصلة

الكلام »

عبلة : ما لعنزة ؟ ...

هند : « فى صرخة أضعفها النشيج ، إنه قسسى ...

عبلة : عنزة ؟ ... قسسى عنزة ؟ ...

« تقف مشدومة ذاهلة الـب . . . »

هند : « وهى ترمى نفسها فى حضن عبلة ، قلت لك إنه قسسى

- عبلة : من أين استقيتَ هذا الخبر ؟ ...
- هند : الناس يتناقلونه ...
- عبلة : « صائحة » من أتى به ؟ ...
- هند : لست أدري ...
- عبلة : طالما تناقلتُ السَّنةُ السَّوءَ أكاذيبَ تبغى بها جر
المغانم ... كلاً ... ما قضى عنزة ... فريّة
مدسوسة ! ...
- دعجاء : كيف لا يقضى ؟ ... أَلستِ أنتِ التي رميت به
في المهالك ؟ ...
- عبلة : لقد أرسلتُه في طلب حجر الزبرجد ؟ ... وإنه
لأت به ! ...
- دعجاء : تحاولين بهذه الشَّقَشَقَة الجوفاء أن تستري جريرتك ...
لقد نكبتِ القبيلة في أعزِّ بذنها ...
- عبلة : أمسكي عن هذا الهُراء ...
- دعجاء : « مستأنفة » ... كما نكبتِ القبيلة في فتيان آخرين
قبله ! ... كل هذا إشياعاً لغرورك الطائش وإرواء

لأثر نك الحقاء ١ ...

- هند : « مغنمة ، ألا تكفين ؟ ... »
- دعجاء : « لعل ، مندفة ، لشد ما آذيت الناس وكنت عليهم بلاء مصوباً ... أنسى صنيعك بجندب باكرة أحبائك ، وهو قتي قبيلة بني وحيد ؟ ... ألم تشجى نار البغضاء بينه وبين أخيه الواضاح ، حتى ... »
- عبلة : « مقاطعة ، لقد كان الواضاح لثيم الطبع زنيا ... »
- دعجاء : « لأنه لم يقابل حبك بحب ١ ... فجزيت به على ذلك أن أثرت أخاه عليه بمكرك وكيدك ، وما زلت بهما حتى اقتتلا وسقطا صريعين معاً ... »
- عبلة : « حدث نأفه ... كثيراً ما يقع مثله بين الإخوة ... »
- دعجاء : « وهل ننسى العطاف ؟ ... »
- هند : « ليس لعل إصبع فيما حل به من كارثة ... »
- دعجاء : « بل اقترفت جريمة لا تُغتفر ... »
- عبلة : « أية جريمة اقترفتها يا جرثومة السوء ؟ ... »
- دعجاء : « لقد جفا أمه جفوة شنعاء ، تاركاً لها نوبة الفاقة

والبؤس ، فهلكت فريسة الإهمال والعُقوق ...
وما سولت له نفسه أن يفعل ذلك إلا استجابة
لرغباتك وإيثاراً لمرضااتك ... حتى إذا جاء يستنجزك
عهد الزواج لم يجد منك إلا التمسع والإباء ، فذهب
هول الصدمة بعقله ، وهام على وجهه شريداً لا يستقر
به مقام ... والآن ، لقد حان يومُ عنقرة ! ...

عبلة : « مهتاجة غضبي » ، إن لم تُمسكِي عليكِ أسانك
أريشك كيف يكون ردى ...

« ترفع يديها في وجه دعجاء ... تموله .
بينهما هند ... في هذه اللحظة يبدو مالك .
في جمع من رجال القبيلة ، بينهم ابن فياض
التاجر الرحال ... تأخذ هند بيد دعجاء .
وتعضيان لل جانب »

مالك : « لعبلة ، ما أظنك إلا قد علمت بنيا عنقرة ... »

عبلة : من افترى هذا الخبر يا أبتاه ؟ ...

ابن فياض : أنا الذي حملت إليكم الخبر . . . بما افترت
ولا كذبت ! ...

- عبله : ابن فياض ؟ ...
- مالك : جواب الآفاق ، ورأس تجار البقعة ... لقد أتى في
غير من فارس منذ قليل ...
- عبله : « لابن فياض ، وهل لقيت عنتره ؟ ... »
- ابن فياض : لقيته حياً ، وودعته ميتاً ...
- عبله : « مضطربة مأخوذة ، أوضع ... اصدقني ... »
هل رأيته بعيني رأسك ؟ ...
- ابن فياض : كنت في كرمان أجمع نفائس البسط للملك
السجنجل ، فصادفت في السوق عظمطماً عليه أسمال ،
يرزح تحت هم ثقيل ، فسألته : ما خطبه ؟ ... فأنبأني
بأن عنتره طريح فراشه نهكته العلة ... فصحبته
إلى مستقر عنتره ، فوجدت ما يخلع القلب أسي
ويثير الدمع ... عنتره العظيم الجبار ملق على
حصير في حجرة مهدمة يجود بنفسه ...
- هند : « في ألم وتحسر ، لابن فياض ، ماذا كان
يشكو ؟ ... »

ابن فياض: لَزِمَتْهُ الحمى ، فلم تُبق منه باقية ...

« بصيت برهة ، والعيون إليه شاخصة »

عبلة ينشأها ذهول . ابن فياض يتابع قوله «

لقد كان عنترة في بُحْران الحمى حين دخلت عليه ،

ولكنه ما رآني حتى عرفني ...

عبلة : « في صوت مختلج الذبرات ، أقال لك شيئاً ؟ ...

ابن فياض: سمعته يردد أياتا يتغنى بها في مشقة وعناء ...

عبلة : أما استبان لك منها شيء ؟ ...

ابن فياض: أنت للعين ضياء أنت للروح دواء

عبلة : « وقد شرفت بالدم أنت يا عبلة أنس لفؤادي وهناء

« تمالك على صدر أبيها وقد ملكها

النقيب تهمهم قاتلة »

أَبَتْ أَبْتَاه

« يلاطفها مالك أبوها هنيئة

بتوسط الجمع صاعداً »

مالك : يا بني عبس ، قضى فارس القوم عنترة ، فحيوا

ذكراه ...

عجلة : ياطالما حَفِظَ الذُّمَارُ ، ومنع بنجدته الجار ،
وردَّ عنا عدوان المغير ، وأفاض المغانم على أخية
الحى ، وعقدَ لقييلتنا لواءَ السيادة على قبائل
اليدياء ! ...

مالك : د بعد لحظة صمت ، يا معشرَ عَبَسَ ، قضى
عنتره ، ولكنَّ قبيلةَ عنتره حَيَّةٌ لم تقض ،
فما زال فيها شباب نَهَّاضون ، وكهولٌ صناديدٌ ! ...
سراقة : صدقتَ وبررتَ يا سيدَ القوم ، عنتره لا يموت
مادما أحياء ! ...

بجير : كل منا عنتره ... إن فعالنا شهود نواطق ...
ابن الزاهد: لقد كان عنتره أحدنا ، ولم يتم له فوز إلا
بسواعدنا ! ...

بجير : كان عنتره شجاعاً بحق ، ولكن ما نفع شجاعة
رجل وحده إذا لم يعزِّزها فرسان أشداء مثلنا ؟ ...
لولا سيوفنا لما نَبَّهَ لعنتره ذكرا ...
سراقة : لولا نحن لم يكن عنتره شيئاً ...

عبله : « صائحة ، أتزعمون أن فيكم ندًّا له ، شدة بأس
وثبات جنان ؟ ... »

مالك : « مبتسما ، لعبله ، أخذتهم حيلة التفخير
يا بُنيَّة ! ... »

عبله : « كان عنتره أطولهم باعا وأعنفهم مراسا
وأفصحهم لساناً ... كان سيف القبيلة البتار ،
وصوتها الرنان ! ... »

ابن الزاهد : « لعبله ، كل رجل منا يا عبلة سيف للقبيلة
بتار ، وصوت لها رنان ... ليس بيننا وبين عنتره
إلا أن الحظ واتاه وأخلفنا ، فتألق اسمه
وعلت مكاته ... »

سراقة : « ثم تخمدت جذوته ، وخبا ضوؤه ! ... »

عبله : « كلا ... لن يخبوا ضوؤه أبد الدهر ... »

ابن الزاهد : « حسبكم يارفاق . . . أثبتوا للملأ أنكم فعّالون
لا قوَّالون ... هنا ... »

« يتهماً الجمع للانصراف . عبلة تحتجز ابن فياض »

عبلة : « لابن فياض ، حدثني عنه ا... »

ابن فياض : « أى حديث تريد من ؟ ... »

عبلة : « كيف كانت حياته فى مطارح الغربه ؟ ... »

ابن فياض : « لقد أفضى إلى عظمم بتنف منها . . . قص على »

كيف كابد مصاعب وتجشأ أهوالاً . . . لقد

طوّفاً فى البلاد شرقاً وغرباً ، وجاباً أصقاعاً لم تطأها

قدم عربى من قبل ، وهبطاً مدائن عجيبة لم يسمع بها

إلا فى أساطير الأولين ا... »

• يصت ابن فياض وعبلة وقد غشيتهما

كآبة »

عبلة : « والدفع يتحير فى مآقيها ، أواريتنه التراب

بنفسك ؟ ... »

ابن فياض : « كان على أن أدرك القافلة وهى على وشك الرحيل

إلى إبريشم حاضرة بلاد الملك السجسجل ،

فعمدتُ بالأمر إلى عظمم . . . ثنى أنى أدبت

واجبى أتم أداء ... كان عنتره قى القبيلة الأجد ،

فحقّ عليّ أن أُرعاه في محنته ...

عبلة : جزيتَ خيرَ جزاء ! ...

« فترة صمت »

ابن فياض : أترغبين في السؤال عن شيء ؟ ...

« تهم عبلة بالكلام ، ولا تلبث أن

تمسك »

ماذا ؟ ... تكلمي ! ...

عبلة : ليتني لم أبعثه في طلب حجر الزبرجد ... شدّ ما أنا

جائرة ! ...

ابن فياض : ترائي إليّ أنه لم يحضّل على طلبِكِ ،

عرضتَ عليه أحجار زبرجدية غير أصلية ،

فأعرض عنها ...

عبلة : « مخممة » لقد لقيتَ في سبيل هذا الحجر المشؤم عنتاً

أى عنت ... « قصمت هنية » لا أستبتيك طويلاً ،

فالجمع ينتظرك ... شكراً لك يا ابن فياض ...

ابن فياض : طاب يومك ! ...

« ينصرف ... تقبل هنيئاً ودمجاء »

عبلة : « في لوحة ، هند ، مصابنا في عنقرة يجلّ عن
العزاء ...

« تحتضن هند فتبكيان ، وتدنو منها
دمجاء باكية ... تبدو أم هرم . . . »
أى عنقرة المغوار ... أى حامي القبيلة الفذ ...
أم هرم : وماذا بعد ؟ ... كفـكـفـسن من عبراتكن ... لن يغنى
البكاء قليلا ...

« تندقع باكية ... تمسح عينيها بطرفه
خارها »

ورد على الساعة نبا عجيب ...

دمجاء : أى نيا هذا ؟ ...

أم هرم : يتهامس الناس بعودة الأمير عمارة ...

« ترهف عبلة سمها »

يتناقلون أنه في طريقه إلى الحى ...

عبلة : أساق معه النياق ؟ ...

أم هرم : لا علم لى بنياقه يا بُنيّة . . . سميتهم يتحدثون

عن ركب عظيم يجتاز شعاب « الحواشب » متجهاً
نحو مضارب خيامنا ، وكثيرون يذكرون اسم
الأمير ...

عبلة : « وقد أشرق محيّاها ، من أدب الضيافة أن نخفّ
لاستقباله ... ألا تنهض ؟ ... »

أم هرم : هيّا يا بنية ... نعم الرأى ما رأيت ! ...
« تهرع عبلة منصرفة ، وف أثرها

أم هرم
دعجاء : « عاقدة يديها على صدرها ، أدعاهها أدب الضيافة
حقاً إلى أن تخفّ لاستقبال الأمير ؟ ... »

« تسكت عن الجواب هند »
ثقي يا صغيرتي أنها لا تبكي على عنقرة بقدر ما تبكي
على نفسها ... إنها اترى فيه طبلاً تفرعه فيدوى
باسمها ، فإن تمزّق الطبل سارعت إلى البحث عن
طبل جديد ! ...

هند : أواعيه أنت ماذا تقولين ؟ ...

دعجاء : نعم ... أعنى ما أقول ...

ستدوب أحزائُها وشيكا على صدر أميرها
المضطرم ... لن يبق لعنترة بعد اليوم في
قلبها مكانة ...

الفصل الثالث

« المنظر السابق ... عبلة جالسة بباب
خباياها تنزل الصوف وبجوارها هند... غير
بعيد منهما مالك يجلس إلى ردهط من القبيلة،
بينهم ابن فياض وسراقة وابن الزاهد ومجير »

ابن فياض: « إني لأعجبُ من حَيَرْتكم ... ألم أقل لكم إني
رأيتُ عنقرة بعيني رأسي يلفظُ أخريات
أنفاسه؟ ... ما لكم لا تصدّقون؟ ... لقد غبتُ
عن الحى قرابة ستة أشهر منحدرًا إلى الورا
في تجارة ، وهانذا أعرد فأجدكم تكذّبونني فيما
كنت أخبرتكم به في شأن عنقرة ... لماذا
تكذّبون ؟ ...

مالك : لست بكاذب يا ابن فياض ... ولكن قد تكون
مخدوعا ! ...

ابن فياض : أتخدعني عيناى يا مالك ؟ ...

مالك : يقول ابن مُرَّة إنه لقي عنترة في مشارف الطائفان
بإقليم طخارستان يقود جيشاً عَرمرماً يحاربُ
به الترك ...

ابن فياض : أين ابن مُرَّة هذا ؟ ...

يحيى : لقد ارتحل بِحيره إلى أمام ...

ابن فياض : لو كان بيننا الآن لما جرؤ على أن يواجهني بهذه
الفريسة ! ...

مالك : زعم ابن مُرَّة أنه لقي عنترة بعد لقائك إياه ...

ابن فياض : لا يرح الموتى قبورهم يا مالك ! ...

مالك : إني لقي حَيرة من أمر عنترة ... أنتمسكه رُوحاً

شاردة تنهم في الآفاق ، لا يستقر لها قرار ! ...

مُرافقة : إذا كان عنترة حياً ، فلهذا لا يرجع إلى الأهل

والديار ؟ ... لقد طالت غَيْبَتُهُ دون أن

ندركَ لذلك سبباً ...

هند : « لعبلة ، يبحث عن حجر الزبرجد ...

« عبلة لا نجيب متشغلة بمنزلها . . . »

ابن الزاهد: « في دُعابة ساخرة ، لقد احتجزته فارس لنفسها ،
فأمرته على جندها ، وقلدته زمام بلادها ...
لسوف يُخضع لها الدنيا بأكملها ، ويملا خزائنها
أسلاباً وغنائم ... »

مُجِير : « ضاحكا ، إني لأتمله وقد غدا دهقاناً مهيباً
يرفُلُ في طبلسانيه ، ويترنح رأسه تحت قلنسوة
ضخمة شاهقة ! ... »

سراقة : « ودو يتمايل ضاحكا ، ولِمَ لا يكون قد
غدا ساحراً مجوسياً جليل القدر يحُفُّ به الأتباع
والأنصار ؟ ... »

« يقبل حازم »

حازم : « لمالك ، أعلمتُ أن خزيمة آت بعيره من
دُمسُتُق ، وسيبلغ الحى بعد قليل ... »

مالك : « لمن حوله ، هلموا لاستقباله يارفاق ... اكل
منا في هذا العير متاع ... »

ابن فياض : هيا ...

« ينصرف مالك ومن معه . . . هند
تختلس النظر إلى عبلة كأنها تهم بالحديث .
وعبلة على حالها متشاغلة بمنزلها . . . »

هند : « كأنها تناجى نفسها ، أمر عنقرة لم يعد
يشغل بالنا . . . »

« عبلة تنابح غزلها غير معنية بما
تسم »

الدنيا كلها تتحدث في شأنه ... سيوآنا ... !

« عبلة كما هي صامتة »

أحى هو أم ميت ؟ ... ألا نستطيع معرفة حقيقة
نطمئن إليها ؟ ...

« عبلة منصرفة إلى منزلها . . . هند
تشور فتجذب القزل من يد عبلة . . . »

إن حركة هذا المِخْزَل تثير غضبي ...

- عبله : « ناظرة إلى هند ، ثم عاذا يا هند ؟ ...
هند : ثم ماذا يا عبلة ؟ ...
عبله : عجباً لك ؟ ... ماذا تريد مني ؟ ...
هند : أريد أن أعلم : أحي هو أم ميت ؟ ...
عبله : أو قيل لك إنى عرافة أو ساحرة ؟ ...
هند : يجب أن تكونى عرافة أو ساحرة لتكشف لك
جَلِيَّةَ هذا الأمر ... لماذا لم تشاركى رجال
القبيلة فى الحديث حين غاضوا فيه ؟ . . . ألم
تسمعى ما قالوا ؟ ...
عبله : كنت أستمع لصوت مخزكى ! ...
هند : أصبحت الآن لا تفارقين هذا المنزل . . .
هو دائماً معك . . . وأنتِ على نفسك منظوية
لا تنبئين بكلمة . . . ألا يهملك أن تعالى أن
عنتره ما زال حياً يرزق ؟ ...
« عبلة لا تجيب
والأمير عُمارة ؟ ... ألا يهملك من أمره شيء ؟ ...

« علة صامنة »

سته أشهر مضت والأمير عمارة يحجب فيها البقاع
ليسلم شتات النياق العصفورية ... إن الناس
ليتناقلون أنه موثق في مسعاه ... سيعود إليك
يوماً ومن ورائه جموع النياق التي أرسلته في
طلبها . . . إني لأسألك نفسي : كيف تصنعين
إذا قدم عليك عنزة والأمير عمارة في
وقت معاً ؟ ...

علة : « غير مهمة » لا أصنع شيئاً ... !

هند : كيف ؟ ...

علة : هل قدم الأمير عمارة وعنزة ؟ ...

هند : لا ... ولكن ...

علة : أراك عَجولاً . . . أنريدين أن تسبقي

الحوادث ؟ . . . دعي الأمور تجري في أعينيتها

يا صغيرتي ...

« تجذب المنزل من يد هند . . . »

هند : « وهى تحاول أخذ المنزل ، لا . . . لا . . .
أتبغين أن تعودى لمخزلك وصمتك ؟ ...
هذا لا يطلق ا ... »

عبلة : أنحسبين أنى أصمتُ إذا خلوتُ بمنزلى ؟ ... إلى .
لأناجيه ويتاجينى بأعذب الكلام ... تعلّمى يا صغيرى .
أن تكونَ بينك وبين مخزلك مناجاة ا ...
هند : لقد أصبحتِ أنتِ ودعجاء لا نانسان إلا إلى المنزل .
والصمت ... »

عبلة : كذلكِ دعجاء حقا ؟ . . . سينظر آيتنا
أسبقُ غزلا ا ... »

هند : مكتوبٌ لك الفوزُ دائماً ... »

عبلة : « ضاحكة ، سادعُها تفوزُ هذه المرة ... »

هند : بربك خبّرني يا عبلة ، أيا أحبُّ إليك ، حجرُ
الزبرجد أم النّياق العصفورية ؟ ... »

عبلة : « تحديقٌ فيها مبتسمة » وأنت ماذا تفضّلين .

لو كنت مكانى ؟ ...

هند : « بعد روية ، كنت . . . أفضل حجر
الزبرجد . . . »

عبلة : والنيّاق الألف . . . ألا يهفو لها فؤادك ؟ ...

هند : حجر الزبرجد آمن وأغلى . . .

عبلة : « وهى تربت خدما مداعة ، أنت تفضّلين
يا بنية صاحب الحجر لا الحجر نفسه . . . لقد
شرع قلبك يتفتح حقاً ... حذار يا صغيرتى
حذار ... لقد أصبحت تنافسينى فى حب
عنتره ، كدعجاء ... »

هند : أظنين أن دعجاء تنافسك ؟ ...

عبلة : دعجاء تحبُّ عنتره ... لم يعد ذلك سرا خفيا ...
ألم نخط له قبراً ليكرن لها مزاراً ومبشكى ؟ ...
لقد جاهرت بمكنون قلبها حين ذاع نعى
عنتره ! ...

هند : كان خيراً لها أن تجاهر بحبه ، وهو حى مقيم ! ...

عبلة : = إني لأحزم من أن أقفل ما تقوإن ... إن الميت
لا عليك حباً قهولاً ولا رفضاً ... أما الحي ...
هند : « متمة الجملة ، قللة لسان قد يجرح به قلبها إذا
انقضى الأمر ...

عبلة : قلت صواباً ... والفكان وقد حملت إلينا الأنباء
بعث عنترة .. زرع دجاجة قد مدحت القبر وراحت
في لبوس اللؤلؤ الحجل تحاول أن تستر
ذلك الموى ..

هند : ليت شعري ، الأثير عارة يفر قلبها أيضا ؟ ...
عبلة : بجمال بنات قرينتي خي تنسجى إلينا الأخبار
نعي الأمير ، لتنظر : أخطأ له أبرأ ؟ ولنوازن
بينه وبين القبر الملقى سخطه فلا لعنترة : أيهما
أدلى على صدق الموى . ؟ .. دعينا من هذا ...
ألا تمضي للمستقبل عيمو دمسق في مقدمها إلى
الحي ؟ ... لا ريب أنها تزخر وفاخر الثياب من
سندس ودياج ...

هند : هيا ...

• تهمان بالذهب فتلقاها أم هرم •

أم هرم : إلى أين تقصدان ؟ ...

هند : إلى حيث نستقبل غير دُمُسْتَقْ ... تتخير من
متاعها ما يحلو لنا ...

أم هرم : ليست بالغير ما حسبوها غيراً ... إنما هو جمع
حاشد من الناس والجياد والإبل ... يبدو لي أنه
ركب أمير عظيم ...

عبلة : أى الأمراء هو ؟ ...

أم هرم : إن الغبار المتكاثف ليعقد حول الركب سحابةً
كبيرة ، فلم نستطع أن تبين من
القادم ؟ ... بيد أنى سمعت اسم الأمير عمارة على
كل لسان ...

هند : أحقاً هو القادم ؟ ...

عبلة : يا طالما حملت إلينا أم هرم أنباء عودة الأمير عمارة ،
فلما استجلبينا الخبر انضح لنا كذبه ...

أم هرم : وما ذنبى يا بنية ؟ ... إني أنقل ما تلتقطه أذنائى من
حديث القوم ...

هند : وبماذا يتحدث القوم اليوم يا أم هرم ؟ ...
أم هرم : إنكما تكذبانى فى قولى ...
هند : أقسمت عليك أن تتكلمى ...

« تجتذب أم هرم كلا من هند وعبلة
وتسر الحديث إليهما »

أم هرم : إن من بين رجال القبيلة من يتوجس شراً من هذا
الركب القادم . . . ربما كانت غارة يشنها علينا
أعداؤنا بنو فهد . . . لعبلة ، إن أباك يجمع
الجموع تحرزاً وأهبة ...

« بقة - حازم مهرولا »

حازم : ألا تعلمن الخبر ؟ ...
عبلة : عجّل وقل ، أحرِبْ هى أم سلام ؟ ...
حازم : لقد تجلّى الغبار عن وجه الركب ، فإذا بفارس
يعدو نحونا ... فهل علمتن من الفارس ؟ ...

عبلة : عجّل وقلّ ... من هو ؟ ...

حازم : احزرنّ ! ...

أم هرم : أفى مقام دعاية نحن يا حازم ؟ ... أم تراك أثقلت
في الشراب فحمتنا تهذى ؟ ...

عبلة : قل ، من الفارس ؟ ...

« يظهر عظمم فجأة على رأس الربوة ،

ثم يقفز دفعة واحدة ، فيغدو بينهم ، هابه

ثياب فارسية ثمينة »

عظمم : « وقد سمع سؤال عبلة ، أنا الفارس ! ... »

« عبلة وحمد وأم هرم ينظرون إليه لحظة

مشدومات بصحن : عظمم ! ... »

« عظمم ! ... »

أجل يا أحبائي ... عظمم ...

« هند تتعلق برفقته متصايحة ... يلمع

في رأسها خاطر فترنو إلى عظمم جزعة »

هند : وعنترة ... أحى هو ؟ ...

عظمم : إن الموت ليتهبّ الدنو منه ...

« يتماظم في وقفته متنفخاً »

لقد نصبت عنقرة أميراً على بلاد الترك ، يجسبي لي
الحراج ، وينتقي لي غوالي التحف ...

هند : دع المزاح ... أين هو ؟ ...

حازم : إنه قادم في حشد مهيب من بني الحنّ ...

عبلة : « وقد أمسكت بيد عظمم » لقد جلب لي معه حجر
الزبرجد ... أليس كذلك ؟ ...

عظمم : حجر الزبرجد ؟ ... لا علم لي بهذا الحجر ... لا أذكر
من أمره أي شيء ...

عبلة : كيف ؟ ... ألم يجسب عنقرة شرق الأرض وغربها
بحثاً عن هذا الحجر ؟ ...

عظمم : « يضرب كل جبهته بكفه » ذكرت الآن ... أليس هو
ذلك الحجر الذي كان مشغل عنقرة الشاغل بعيد
ارتحالنا من البادية ؟ ...

عبلة : إنه هو . . . ليس ثمة ما يشغل عنقرة غير هذا
الحجر ! ...

عظمم : الحرب يا بنية ... الحرب ! ... كانت

همَّ عنترَةَ الأكبرِ ! ...

عبلة : ألم يعرض عليه التجار حجراً من الزبرجد غير

أصيل ، فأبى أن يقبله ، وأستأق بحشه الشاق ؟ ...

عظمم : لا علم لي بشيء من هذا ...

هند : إن صعباً شداداً حاقت بكما في بلاد الغربة : مرض

فانك ، ضنك مرهق ...

عظمم : « يقهقه من هوا في ذهاب وجيئة » بل قولي يا صبية :

صحة موفورة ، غنى عريض ، جاه كبير ... لقد أقبلت

علينا الدنيا فلم نزلنا نعيمًا وعزة ... يدولي أن

أخباراً عجيبية ترأست إليكم في شأننا ! ...

حازم : لقد حمل إلينا ابنُ فياض نعى عنترَةَ ...

عظمم : « مقهقها » ولماذا لم يحمل إليكم نعى نفسه ؟ ...

لقد لقيسينا في وقت كانت الخمر فيه قد لعبت برأسه ،

فلا غرو أن يرى الأحياء أمواتاً والأموات أحياء !

« تقدم دجاء ونجلاء ... يقع بصريحه

على عظمم فتذملان ... »

دعجاء ونجلاء : « صامحتين ممأ ، عظمم ا . . . عظمم ا . . . »

عظمم : « مقبلا عليهما متصايحا ، دعجاء . . . بجلاء . . . »

يا الله . . . كدت أنسكركمما ا . . . »

دعجاء : لماذا ؟ ...

عظمم : « وقد أحاطهما بذراعيه ، ازددهما فتنة تتخاذل دونها

فتنة بنات فارس ا . . . »

نجلاء : وأنت . . . كدنا نسكرك أيضا ا . . . »

عظمم : أعظم حسنى ، وازداد جمالى ؟ ا . . . »

نجلاء : لا . . . ولكن ...

عظمم : « مقاطعاً فى تحسر ، إذن لقد ذُبلت فتنتى ،

وضاع عمرى ا . . . واحسرتاه عليك يا عظمم ... »

لم يعد لك حظوة عند بنات الحى ا . . . »

دعجاء : كدنا نسكرك وأنت فى هذه الحلة العجيبة ...

« تلمس حلته متفحصة . . . »

أم هرم : ما شمدنا لهذه الحلة مثلاً بين أهل البادية ا . . . »

عظمم : هذا حق . . . حلة فاخرة نادرة . . . يتخطر فى

مشيته ، ولكن لا تنسوا أنها حُلة السفر . . . ماذا
تقولون إذن حين تروُنَسِي في حُلِي الأخرى ، مُحَلَّل
الحرب مثلاً ، مُحَلَّل المحافل ، مُحَلَّل الولايم ...

حازم : إذن نُنَظِّك من أكاسرة الفرس أو قياصرة الروم ...
عظمم : بل أبهى منظرًا ، وأسمى مقامًا . . . آه لو رأيتم
ما حملناه معنا . . . عجائب وغرائب . . . أرهفوا
أسماعكم يا أحبَّاي ... سأخبركم بما معنا ... قلت
لكم : أرهفوا الأسماع . . . مطارف دُهِسْتُقية ،
حُلِّل مَرْنَبانية ، لا ذات مَرُصلية ، نمارق
زَنجانيَّة ، سَجوف بوشَنجية ، طنافس شيرازية ...
أما الخدم والحشم ، والأرقاء والجواري ، فخذثوا
ولا حرج ...

هند : جوار ؟ ...

عظمم : أجل ... جوار تركيَّات وروميَّات وفارسيات ...
قيان لا يوجدن في قصور الملوك ...
أم هريم : يا للتعجب . . . أبهذا كلته أتيتم ؟ ...

عظمم : وأكثر... آه لو سمعتم هذه القيان وهنّ يغنين

ويعزفن على آلات الطرب ا... د لحازم ، : ... ألك

علم بآلات الطرب ؟ ...

حازم : إنها الطبلُ والمِزمار ...

عظمم : د مقهقها ، يالكسغفلة ... أىّ طبل وأىّ مزمار ؟ ...

أرهفوا أسماعكم يا أحباى ... إنها : الجنّك ،

والأرغين ، والمِزْهَرُ ، والصَّنْجُ ، والقِيثارة ،

والبربط ، و ...

أم هرم : د مشدوّهة ، البربط ؟ ...

عظمم : أجل ، البربط ... البربط ... تن تن تن ... د يحاكي

رنين الأوتار ، لو سمعته يا أمّ هرم وهو يرسل

أنغامه العذاب لرأيت هذه البادية الجرداء وقد

استحالت فردوساً وارفاً الظلال ، تجوس خلاله

جداول من لجّين ، ولأحسست قلبك يتقد

جباً وصباية ا ...

عبلة : د لعظمم ، لعلكم قد أصبتكم كنزاً ، أو امطرثكم

السما ذهباً يا عظمم ! ...

عظمم : لا هذا ولا ذاك يا بنية ... إنها الحرب ... الحرب

الضروس ... بسواعدنا أصبنا ما أصبناه ... في كل

أرض مبطناها كان النصرُ معقود اللواء لنا ... لقد

طوَّفنا في البلاد شرقاً وغرباً ، مُجزنا بِقاع السند ،

وشارفنا جبال القفجاق ، طوينا سهول الشَّيروان

والموقان ... تلاحقنا الغنائم أنى حللنا ، وتقلُّ

الأسلابُ رواحلنا ... ألم يترام إليكم النبا

العظيم ؟ ...

هند : أى نبياً تريد ؟ ...

عظمم : لقد عرضوا على غنتره مُلك كلوذستان

الرحيب ...

الجمع : د يرددون ، مُلك كلوذستان ؟ ...

عظمم : ولكنه أبى ... أثرَ على مُلك كلوذستان

رجعته إلى الأهل والعشيرة ... أثر أن يستأنف

معكم حياته الأولى ... إنه ليُسكنُ لكم أعظم الحب

لو تعلمون يا أحبائي ...

دعجاء : أكان يذكُرنا ؟ ...

عظمم : لم ينس منكم أحداً ... كان يذكُر الصغير قبل
الكبير ...

هند : ماذا كان يقول في عبلة ؟ ...

عظمم : « مفكراً ، في عبلة ؟ ... سألتني ا ... » مفكراً أيضاً ،
ذكرتُ ، كان يقال إنها كالقطة ، لا تحسن غير
التخميش والمُواء ...

دعجاء : « ضاحكة ، لعلبة ، لقد أحسن وصفك
يا عبلة ا ... »

عبلة : إن تلك القطة هي التي يقول فيها :

أنت للعين ضياء أنت للروح دواء
أنت يا عبلة أنس لفؤادي وهناء

نجلاء : إنه شعره قاله فيك قبل رحلته ...

عبلة : لقد كان يردد شعره في وهو في بُحْران الحمى ،
وسيف الموت على رأسه مُهْسلت ا ... » عظمم ،

ألم يفعل ؟ ...

عظيم : أذكر أنه كان يردد نشيده هذا في بدء حياته
هناك ... ولما طوته الحياة الصاخبة في لجتها ،
ودفعت به الحرب في معانها ، رأيت أنه قد
استبدل بهذا النشيد نشيداً آخر كان يرغب إلى في
أن ألقيه على سمعه ...

عبلة : « مهمة ، أجروا على أن يفعل ذلك ؟ ... »

هند : أي نشيد كنت تلقيه على سمعه ؟ ...

عظيم : أرهفوا أسماعكم ...

« ينشد ... »

وفي يوم الماع قد تركنا

لنا بفعلنا خبراً مشاعاً

أقننا بالذوابل سوق حرب

وصبّرنا النفوس لها متاعاً

حصاني كان دلال المنايا

نفاض غمارها وشرى وباعاً

وسيفى كان فى الهيجا طيباً

يداوى رأس من يشكو الصدا

حازم : « يضحك ، وهو يردد ، يداوى رأس من يشكو
الصدا ... ما أظرفه ! ...

عبلة : « مهمة ، سنف وهراء ...

دعاء : يلوح لى أنه كان لا يعنيه إلا سيفه وحصانه ...

عظم : الحرب . . . الحرب دائماً كانت تملأ رأسه ،

فلا يفكر إلا فيها ... « يلتفت إلى الراقفات حوله ،

ولكنه لم يسكن ... لقد أعد لكل منكن هدية فاخرة .

هند ودعاء ونجلاء : « معا ، بماذا أتى لنا ؟ ... بماذا أتى لنا ؟ ...

عظم : صبركن يا صغيرانى ... إنه سرّ لغزيرة

لا يوح به لأحد ...

عبلة : إنى أعرف ما خصنى به ... لا أجشمك مشقة البوح

بالسر ... إنه حجر الزبرجد ! ...

عظم : ليس لى أن أتكلّم فيما لا أدريه ، ولكنى على يقين

أن وفاضه ملأى بغوالى التّحف وروائع الأمتعة

وبدائع الحُلَى ... اطمثنوا ... لَيَغْدَقَنَّ عليكم
طرائقه ا ... لم أحدثكم بعدُ في أعجوبة الدهر
ومعجزة الدنيا ...

هند : ماذا تقصد ؟ ...

عظمم : أقصد بِمَرُوزَ ... الطاهى الذى استقدمه عنتره
معه لِيُعِدَّ لكم طعاماً لم تعرفوا له من قبل مذاقاً ...
أم هرم : كيف ؟ ... أليس فينا من تحسِّنُ طهى الطَّعام ؟ ...
عظمم : وهل تحسِّبِينَ يا أمَّ هرم أن عنتره يَسِيغَ الآنَ
أكل الثريد والمجيع ؟ ... إن طاهيننا نوْبَشْدَ جَانُ
المنبِتِ ، قد بَرَعَ فى صنع الفالوذق
المزَعْفَرِ ، واللَّوْزِ يَنْجِ المعطر ، والطَّبَّاهِجِ
الرَّشْرَاشِ ، و ...

« تسم ضجة ، فيسك عن الكلام
عظمم ، وينصت الجمع ... ثم يصيح
عظمم »

لأنه هو ... عنتره ...

حازم : « وقد تطلع إلى مبعث الضجة ، ها هو ذا مع الشيخ

مالك ، وحوّلها لقيف من بني العشيرة ...

« لا تكاد عملة تسمع ذلك حتى تنفلد إلى ...

خباياها فنيب فيه ... همد تقفوا أثرها . »

دعجاء : « لنجلاء ، جانباً ، يحسُّ بنا ألا نلقاهُ في ...

هذا الحشدِ الجَمِّ ... هلسي نرحل يا نجلاء ...

نجلاء : « لدعجاء ، هامة » حقا لا يحسُّ بك أن نلاقية

وأنتِ ها طِلِّ لا زينةَ ولا طيب ! ...

دعجاء : حسبك ! ... ما هذا ؟ ...

« تصرفان الضجة تزداد ، ويسم تصايح

القوم وهتاف الفتيان وأغاريد النساء . عنزة

يبدو في حلة بالغ البهاء ، وهو يتخدر في

حطاه ، وقد أحاطت به من رفته له ، بينهم

مالك وابن فياض وسراقة وبجير وابن

الزاهد . . حلف عنزة مواليه في ثياب

فارسية زاهية ، وهم شاه والسلاح ... »

عنزة : « في طهجة الإمارة ، لأحد مواليه ، هيسا ...

لا تتوانوا في ضرب الخيام ، وأحسوا تنسيق

الببسط ، ونثر الفارق ، وتعليق النباريس ، وإطلاق

البخُور ... أسرعوا ...

المولى عنقرة: السمع والطاعة ا ...

« ينصرف مهرولا »

عنقرة : « لمولى ثان من مواليه ، مرثم يفكثوا وثاق

الصناديق ويضعوها في الحباء الكبير .. وليقم على

حراستها أزدهشير ... أسرعوا ...

المولى الثاني: السمع والطاعة ا ...

« ينصرف مهرولا »

عنقرة : « لمولى ثالث من مواليه ، قل لبهروز انحر عشرين

جزورا ، وفرق لحومها في الناس ... وقن لرنجان

امنح ذوى الحاجة أعطيات من الدراهم والدنانير ...

المولى الثالث: السمع والطاعة ا ...

« ينصرف مهرولا »

عنقرة : « لمولى رابع من مواليه ، وهذا الرجل الانى تصدى لي

في الطريق مستخفّا فصرعته ، ماذا صنعتُم به ؟ ...

المولى الرابع: ألقينا جُشَّتَه بجوار صخرة معاد ...

عنقرة : فليُدقَّ له عمودُ هناك ، ولتعلق جُشَّتَه ثلاثة أيام

منهني للنسور والغربان ... لقد تصدى لعنقرة ،

فليلق أشدَّ النِّكال ...

« ينصرف مهرولا »

عنتره : « يتلفت حوله ، أين أردبيل ؟ ... أين أردبيل ؟ ... »

« تمنى برهة لا يجيب فيها أحد فيسبح ، : أين

أردبيل ؟ ... » يظهر أردبيل وهو يرعد خوفاً ، أقبل

أيها الآذن الماهر ... كيف سمحت لهذا الأعراي

أن يتصدى لي في الطريق ؟ ...

أردبيل : « في ذلة وتخوف ، مولاي ... لقد كنت ... »

عنتره : اذهب إلى بسطام فدعه يضربك خمسين سوطاً ،

جزاء تفريطك ! ... » يتضرع أردبيل ويتشفع ...

يرميه عنتره بنظرة نكراء ، قلت لك امض إلى بسطام

يُنفذ فيك عقوبة التفريط ... خمسين سوطاً ! ...

أردبيل : « وهو يطأطأ رأسه ، أمرٌ مولاي ... »

« ينصرف ... يقع بصر عنتره على لحازم

وأم هرم »

عنتره : « لحازم وأم هرم ، من أرى ؟ ... حازماً ؟ ... »

أمَّ هرم ؟ ... أقبلاً ، أقبلاً ، « يبسط لهما ذراعيه ، »

فيقبلان عليه ، فيحييهما ، كيف أنتما ؟ ...

حازم : بخير ما دمت أنت بخير يا بُنيّ ...

أم هرم : ألف حمد لله ... لقد اكتحلت بمرآك عيناى قبل أن

أموت ... بلغت منأى ا ...

عظمم : تموتين ؟ ... من قال ذلك ؟ ... إن الموت لا يتوخمى

الصبايا يا أمَّ هرم ! ... إنه ليستحي أن يمدَّ منجله

ليصد الغصن الرطيب ! ...

عنتره : « متلفتا حوله » ما أسعدنى بلقياكم بعد طول

ارتحال ! ...

مالك : لقد سعدت بأوبتك الديار يا فتي العرب ...

سراقة : لقد عاد إلى البادية ربيعها الذى يُنعم عليها بالنساء

والخصب والنضارة ...

بجير : لقد استيقظت أفدتنا ، ودبت فيها الحميمية

والفتوة بعد أن ران عليها مسبات عميق ...

عنتره : ألم تكن لكم غزوة من الغزوات فى مغيبي ؟ ...

ابن الزاهد : كانت لنا مناوشات لا شأن لها ... أعوزنا الرأس

المدير ، والساعِدُ الأشَدُّ ، والقلبُ الجسور ، فتهَيَّبنا
جلالُ المواقِعِ ! ...

عنتره : إني لَمَشْهُوقٌ إلى الخُروجِ معكم في غزوةِ نَفْتِكَ فيها
بالعدوِّ ... خُبروني : ألم تُؤمِّروا عليكم سيداً يُقودُ
جموعكم إذا جَدَّتْ الحربُ ، بعد أن أناكم نَعِيٌّ ؟ ...
« يتبادلُ بَجيرُ وابنُ الزاهدِ نظراتِ الحيرةِ ، ...
ابنُ الزاهدِ : لم نَصَدِّقْ شائعاتِ السوءِ . . . أنت السيدُ غُبتَ
أو حضرت ... طال عُمرُك ! ...

عنتره : « يلتفتُ إلى ابنِ فَيَّاضٍ ، ولكن أخانا هذا يدَّعي
أنه أنزلَني اللحدَ ووَسَدَني الترابَ ...
ابنُ فَيَّاضٍ : لم أنبِسْ بمثلِ هذا القولِ يا عنتره ...

عنتره : « مغضَباً ، بل نَكَبَسَتْ بما هو أذْهَى ...
عظمم : لقد رأنا في كِرْمانِ مُدَّةٍ يدُ السَّوَالِ لكلِ رائحٍ وغادا .
عنتره : أعنتره شَرِيدٌ يستجدي ١٩ ...

« يَمسِكُ با بنُ فَيَّاضٍ من قفاه ، ويهزه ، أتَجسروُ
أن تقولَ مثلَ هذا ؟ ...

ابن فياض: نزلتُ على من السماء صاعقة،^١ إن كان لسانى قد
جرى بمثل هذا ...

عنتره : « وقد دفع ابن فياض فألقاه بعيداً ، لم يَنْتَه
حسابُك معى بعدُ ... اغرُبْ عن وجهى الآن ... »

• ينصرف ابن فياض الى جانب وهو يمشى
وملا . وهند تسارق النظر من جانب الحباء
ثم تخرج ، فيقع عليها بصر عنتره ، فيجدق
فيها ملياً »

من ؟ ... هند ؟ ... أقبلى ... أقبلى ...

• يبسط لها ذراعيه ، فتدنو منه في تردد
وتجل »

لم هذا التباطؤ ؟ ... تعالى إلى ...

عظم : إن هنـدا لحَيِيَّةٌ^٢ ... إنها لأقرب شَبَهاً
بالنَّيْلُوفَرَةِ الغَضَّةِ ... تخشى دائماً الحِطَاطَ
الرقباء ... !

مالك : نَيْلُوفَرَةٌ^٣ ؟ ... ماذا تَعْنى ؟ ...

عنتره : « ناظراً إلى هند ، لقد أحسن الوصفَ عظمم ...
إن النَّيْلُوفَرَةَ أُميرة زهر الماء يا هند ... »

- هند : « وقد تدانت منه ، عنقرة ...
- عنقرة : « وقد أحاطها بذراعيه ، إن شمس البادية يا غادى
الصغيرة تجيد إفضاج الأجسام . . . لقد أصبحت
فتنة الصحراء ...
- هند : وكيف أنت ؟ ... ألقيت من السفر عناء ؟ ...
- عنقرة : إن كل عناء ليزول ويتزائل حين تَقَرُّ العينُ
بمرأى الأهل والعشيرة ... وأتم ، كيف حالكم ؟ ...
- هند : نحن في خير وسلام ...
- عنقرة : وصوئحباتك ؟ ... كيف حالهن ؟ ...
- هند : كاهن على ما يرام ، كن دائما يسألن عنك
ويتسقتطن أخبارك ...
- عنقرة : لا أرى منهن واحدة ...
- هند : تركتُ عبلة في الحياء تتأهب للخروج إليك ...
- عنقرة : « وقد بدا عليه تنبه ويقظة ، عبلة ... كيف هي ؟ ...
- « تنظر عبلة من جانب الحياء »
- أما برحتُ على حالها طفلة تخميش وتموء كالقطة

العابثة ؟ ... « يمهقه عنثرة فيتضاحك الجمع
بجارية له ، ... لماذا لم تجيء ؟ ... « تقبل دعجاء
ونجلاء ، ... من أرى ؟ ... دعجاء ؟ ...
نجلاء ؟ ... أقبلا ... أقبلا ...

« يحنيهما مشرق الوجه . . . يلتفت إلى
عظمم »

ما قولك يا عظمم في غيد البادية ؟ ...

عظمم : نَسِلُوفَرَاتٌ نواضرٌ نماها جدٌ وكل رَقْشَرَاقُ ! ...
عنثرة : « لدعجاء ونجلاء وهند ، ناظرًا إليهن بشغف ، حنقًا
ما أسعدني برؤيتكن ! ...

مالك : عجباً لعبلة ... أين هي ؟ ! ...

هند : « منادية ، عبلة . . . عبلة . . . إن عنثرة يطلبك

« تظهر عبلة أمام خبايا متلفعة يجلد
الضرغام . . . تلبث واقفة كأنها ترتقب
تقدم عنثرة لتحييها . يقبل عنثرة فجأة على
مالك منهمكا في الحديث »

عنثرة : « لمالك ، كان المطر غزيراً هذا العام في البادية

فلم تشك قَحْناً ولا جدباً ... أليس كذلك ؟ ...

مالك : كان الخير وافرأ ...

« تسرع هند إلى عبلة وتودع سمعها كلمات »

هند : « لعبلة ، تقدّمي .. يلوح لي أنه لم يرك ...

« تلبث عبلة واقفة ... تصبح هند بعنبرة »

تلك هي عبلة ... عبلة ...

عنبرة : « يلتقي نظرة على عبلة ، ويقول في لهجة لا تخلو من

بجالة ، عبلة ... تقدّمي ... كيف أنت ؟ ...

عبلة : « وهي في مكانها ، أنا بخير ... وكيف أنت ؟ ...

« يذهب مالك إلى عبلة ، يأخذ يدها

إلى عنبرة »

مالك : « لعنبرة ، إنها حيّية ... نفور ...

عظم : نيلوفرة أخرى ! ...

عنبرة : « لمالك ، عهدتها شيطانة لا تفنأ تلهو وتعبث ! ...

مالك : ذلك عهد مضى ... لقد تذاير اليوم طبعها ، وبدلت

حالا بحال ! ...

هند : إنها تلوذ الآن بالصّمت ، وتلازم دائماً مغزّ لها .

عنبرة : « لعبلة ، كيف ؟ ... أكذاك أصبحت حقاً ؟ ...

- عبله : لا مبالغة فيها سمعت ا...
عنتره : ولم تلوذين بالصمت وتلازمين المغرول ؟ ... أفي...
صحبة الناس ما تضيقين به ؟ ...
عبله : « رافعة بصرها إليه محدقة فيه ، لقد بدالى أن الوفاء...
فيهم قليل ... ا...
عنتره : الوفاء يا فتاتي كلمة جليلة المعنى ، أخشى ألا تكوني...
مدركة لإياه ...
عبله : إني لأدرك معنى الوفاء حق الإدراك ا...
عنتره : « متضاحكا ، وهو يميل على مالك ، إنها تتكلم بلهجة...
الحكام والكهّان ا...
مالك : ألم أفل لك إنها تبدلت خلقاً آخر ؟ ...
هند : « لعنتره ، أنجد ما قد تغيرت حقاً ؟ ...
عنتره : « محدقا في عبلة ، مخاطباً هنداً ، أراما قد ازدادت...
سُمرة ا...
هند : إنها لملي خلاف ذلك... كيف تزداد سُمرة وهي...
لا تَبرِمْ خباءها إلا قليلا ؟ ...

عظمم : قد يكون قولك الحق يا هند ... ولكن لا تنسى أن
عيوننا قد ألفت رؤية البيض النواصع من نساء
الفرس والروم ، فأصبحنا نرى لونكن أشد
سمرة مما كنا نرى ...

مالك : وهل في السمرة ما يُعاب ؟ ...

عظمم : لا ... إنما هي الحسنُ خالصاً ...

ابن فياض : لعظمم ، ربما كان لعنزة رأى غير ما ترى ...

عنزة : الحق أن لكل لون روعته ... فالنفاق تختلف ألوانها ،
والكل لونٍ فضلٍ ومزبة ...

هند : ما هذا ؟ ... أنفاق نحن ؟ ...

عظمم : فيكنّ منها شبهة : الرشاقة ، والدلال ، والنفاق ،
والظُّرف ، والحماقة ، و ...

مالك : لم يُخبرنا عنزة أي ألوان النفاق يفضل ؟ ...

عنزة : متضاحكا ، ألوانها عندي سواء ... ولقد اقتنيت

منها طائفة مختلفة الألوان ، وإني بها لسعيد ...

عظمم : هذا شأن عنزة مع الجوارى أيضاً ...

سراقه : « لعنترة ، عجباً لك يا عنتره ... ألا تؤثر لونا
على لون ؟ ... »

عنتره : في أي النوعين : الجوارى أو النسيان ؟ ...

سراقه : « متضاحكا ، في كليهما ... »

عنتره : حين يشبهه على الأمر أدعو بعظمم يتخير لي ! ...

« يتضاحك الجمع ... »

عبلة : وهل يحسن عظمم ما يهفو إليه فؤادك ؟ ...

عنتره : إني بذوقه لراض على أية حال ... وإنه ليحسن

الاختيار أئما إحسان في هذا الأمر وحده ! ...

ولست أعهد إليه في اختيار سيف أو فرس ، فهذا

أتولاه بنفسى ، ولا أعول فيه على غيرى ! ...

عظمم : إنك لتغلو يا سيدى ...

ابن فياض : « لعظمم ، حسبك ما نلت من خبرة ومجد في

شئون الجوارى والنسيان ! ... »

« يتضاحك الجمع ... يدخل مولى من

موالى عنتره ويدنو منه »

المولى : وَفَدَتُ أَشْيَاخَ بَنِي الْأَرْقَمِ وَبَنِي أَيْمَنَ وَبَنِي صَاعِدَ
ترغب في لقائك ...

عنتره : أَذْخَلْتَهُمُ السُّفْطَاطَ الْكَبِيرَ ... « لِمَالِكَ ، ...
أَلَا تَسْتَبِقُنِي إِلَيْهِمْ ؟ ... إِنْ لَمْ يَلْقَ بِكَ بَعْدَ هُنَيْهَةٍ ...
أريد أن أستبدلَ بَثْيَابِي ثِيَابًا أُخْرَى ...

مالك : سَأَفْعَلُ ... « يَلْتَقِيتُ إِلَى الْجَمْعِ ، فَلْنَهْضُ إِلَى الْوَاقِدِينَ
لِنُزْدِي لِمِ حَقِّ الْحَفَاوَةِ ...

« ينصرف مالك والجمع في أثره ...
لا يبقى إلا عنتره ، وعبلة ، وهند ، ودعجاء
ونجلاء وعطلم ... »

هند : « لَعَنْتُهَا ، كَيْفَ تَرَى الْبَيْدَاءَ بَعْدَ غَيْبَةِ عَامِينَ ! ...
عنتره : أَرَاهَا كَمَا هِيَ ، فَرِيدَةٌ فِي عَظَمَتِهَا ! ...

هند : إِنَّكَ لَتَخَادِعُ نَفْسَكَ ...

عنتره : كَيْفَ ؟ ...

دعجاء : هِنْدُ عَلَى حَقٍّ ... لَقَدْ أَلِفْتَ حَيَاةَ الْحَفَظِ ،
وَتَعَوَّدْتَ عَيْشَ الرِّخَاءِ وَالتَّرَفِ ، فَلَيْسَ بِذَعَا
أَنْ تَبْدُوَ لَكَ الْبَيْدَاءُ تَافَهُةً تَبْعَثُ عَلَى الْمَلَلِ ! ...

عنتره : حسبي أن أحيا يئسكن ، فأحسّ الدنيا حولي فردوس
بهجة وانضارة ا ...

هند : خداع ومغالطة ا ...

عنتره : ما برحتِ على حالِكِ يا هندُ طفلةً ملِئتُ عناداً ...
أخطأت إذ حسبتك قد صرّت صبية مكتملة
العقل ... أين فيما قلت المغالطة والخداع ؟ ...

هند : أتريد الحقّ الضراح ؟ ...

عنتره : لا أريد سواه ...

هند : إني لا أكاد أعرفك ا ...

عظمم : اذهب فاستبدلْ بثيابك الفارسية ثيابَ البادية حتى
لا يشكركَ الأهل ...

عبلة : الثياب مظهرٌ خارجي لا شأن له بباطن النفس ...

عنتره : أتغيرت حقاً ؟ ...

هند : إني لا أنظر إليك نظرة إلا عرّتني وعدة ... ا

عنتره : « ضاحكا » أو أصبحت مخيفاً إلى هذا الحد ؟ ...

عظمم : كنتَ قبل أن ترتحل عن البادية مخيفاً ... لست أنسى

أن الأمهات كن يخوفن بك أطفالهن ا... ا

عنتره : « يرمقه بنظرة شزراء ، عظمطم ا... ا

عظمطم : لماذا تنظر إلى هذه النظرة ... لازم على أن

أصارحك بالحق ا... ا

عبلة : « لعنتره » لم يفتر عليك عظمطم ... لقد كان ظاهره

يلقى الرعب في النفوس ، ولكنك كنت تُكن بين

جوانحك قلب حمل وديع ا... ا

عنتره : « لعبلة » والآن أي قلب أركن بين جوانحي ؟ ...

عبلة : سؤال جوابه إليك ا... ا

هند : يبدو لي أنه ليس قلب حمل على أية حال ا... ا

عظمطم : القلب لا يتبدل ...

بجلاء : قد يعتري القلب بعض التغير ...

عبلة : ولكن جوهره يبقى كما هو ...

دعجاء : قد تتغير اتجاهاته ومنازعه ...

عبلة : العبرة في كل شيء بالجوهر ...

دعجاء : إن القلب يلين للملابسات الحياة ودوافعها ...

عنتره : أسائل نفسي : أينما الذي تغير ، أنا أم أنتن ؟ ...
أهؤلاء صبايا البادية اللواتي تركنهن غيرات
في سداجة الطفولة ؟ ...

عبلة : أكنت تريد أن نظل أطفالا أبدا الدهر ؟ ...
عنتره : كلا ... وكذلك الحمل الوديع لا يظل أبدا الدهر
حملا وديما ! ... إنه لينخدو كبشاً عنيفا ... !
عبلة : إن بن الكباش ما ينكشف لك عن وداعة
الحسلان ! ...

هند : أجبني يا عنتره ، فيم طالت غيبتك ؟ ...
عنتره : شغلتنى الحرب يا هند ... لا أنتهى من موقعة حتى
أخوض غمار أخرى ... وللحرب ياقتانى سحر ياسر
القلوب ! ... إنها الحرب : سيوف تلح ، ورءوس
تتطاير ، وذماء تتسائل ، وغبار يعقد فى السماء
سحاب ، وأصوات هداة يردد أصداءها الفضاء
الرحب ... وأنا على صهوة الأبحر : حيصانى
الأعز يصدع بمحمته الصفوف ، ويميني « الظامى » ،

سيفي المسلول نتهوى على حدة الهامات ... تلك هي
الحرب التي وهبتها عقلي وقلبي ، ووقفت عليها
عمرى أجمع ا ...

هند : واسكن خبرني : أمن أجل الحرب رحلت عن
الديار ؟ ... ما كانت الممارك تغوزك في البيداء ا ...
عذرة : ليست معارل البيداء باتي تشفى غلة الصادي ...
شراذم قليلة يماذي بعضها بعضاً في غير حمية
ولا تحمس ا ... أما هنالك لجيوش حاشدة ينحسر
عنها الطرف ، إذا أقيمت أو أدبرت خلستها العباب
تدفع أمواجه ويعلو صخبه ، ثم لا تنجلي الموقعة
إلا عن أسلاب وغنائم يخططها الإحصاء ، وإذا
بالمنتصر تدين له بلاد وخلائق ، وتنحني له رهوس
زانستها التيجان ، وإذا بالدنيا مقبلة نزوف الجاه
والسلطان ا ...

هند : كلنا يعلم أنك رحلت عن الديار من أجل عبلة ...
تطلب لها حجر الزبرجد ا ...

عنتره : « مردداً في تذكر ، حجر الزبرجد ؟ ... حجر
الزبرجد ؟ ... ربما كان ما تقوين حقاً ، بيد أني
ما كدت أغادر الديار حتى ألتقيتني قد اندفعت
في حربٍ موصولة الوقائع ، لا أبالي إلا النصر
وكسب المغنم ... وأبصرت الفرصة قد واثقت لأقيم
لهذا « العربي » الذي استهان به أعلاج العجم صرحاً
يتعالى على كل صرح ، ومجداً يتصاغر دونه كل
مجد ... لقد تركت في كل بقعة حللت بها أثراً
مذكوراً من آثارى ، وخبراً ذائعاً من أخبارى ، فالتاس
يتناقلون حديثى في رهبة وإكبار ...

دعجاء : « حسن ما تقول ، ولكن أكبر الظن أن الحرب
لم تكن وحدها شغلك أشاغل ... ليس بعيد
أن تكون حياة الفرس بما فيها من مناعم وأطيب
هى التى حجزتك عنا هذا الزمن الأطول ...

شجلاء : « حياة رفاهة فى القصور بين الغوانى والقسيان ... نحن
نعلم أن لعنتره قلباً طيهاً لالحاظ الحسان ...

عنبرة : كان لي هذا القلب أيام كنتُ أُنسجُ في سداجة
البدَاوة ... أما اليومَ وقد خضتُ غمار الحياة في
فارس، وبلوت معايشَ الهوى بين الغيِّد، فلم يعد لي
فؤاد يَهتزُ لسحر العيون ! ...

دعجاء : وهاته الجوارى اللواتي يزدهن بهن خباؤك ؟ ...
عنبرة : لهن لسوانح المتعة وحسبُ ... « مخاطب الجمع ، :
لماذا لم تسألنني عما أحضرتُ لكن من هدايا
ومطرّف ؟ ...

عظمم : يا لها من هدايا ومطرّف ! ... حليّ نادرة ، وملابس
فاخرة : أقراط ، وشُفوف ، ومعاضد ، وعصائب ،
ونخلاخل ، ودعاج ، ودُرّاعات ، وُبَسّانات ،
وقراطق ... حتى الخفاف المبرقشة لم ينسها ...
آه من الخفاف المبرقشة يا أحباي ! ... شد ما تجمل
القدّم في هذه الخفاف حين تتخطر على البساط
الموثق ! ... كل ذلك لكنّ أنتن ، يتحف به عنبرة
هويحاته الصغار من بنات الشيرة ... ديمس في

- آذانهن ، : إنه ليضمُرُ لكنَّ أكبر الحب ! ...
- هند : ألسنا لهذا الحبُّ أهلاً ؟ ... سألني ماذا فعلتُ هذه
الصويحباتُ الصغارُ حينما جاءهن نبالُ مصرعه ...
- عنتره : ماذا فعلتنَّ ؟ ...
- نجلاء : أقامت دجاء لك قبرا كانت تسُحُّ عليه الدموع ،
تتاجيك وتتاديك ...
- عنتره : « وقد شد على يد دجاء ، يا للوفاء ! ... وأين مكان
هذا القبر يا دجاء ؟ ...
- دجاء : لقد هدمتُ القبر يا عنتره ! ...
- عنتره : كيف ؟ ...
- هند : هدمته حين انتهى إليها أنك ما تزال حيًّا ... ما أغناها
عن القبر الآن ، وقد رجَّع إليها صاحبُ القبر ! ...
- عنتره : « لهند ، وأنت يا صغيرتي ، إذا صنعتِ حين وافيكَ
نعيي ؟ ...
- نجلاء : كانت تذهب إلى الربوة ، ربوتكِ التي كنت تألفها ،
فتذكرك وتتاجيك ! ...

- عنصرة : « لهند » لقد أحسنت الاختيار ... شكرًا لك ! ...
« يلتفت إلى نجلاء » وأنتِ ماذا كان صنيعةك ؟ ...
هند : كانت تؤم الشَّعْبَ الذي كنتَ تتخذهُ مَرْقَبَةً
لصَيْدِكَ ، فتذْكرك وتناجيك ! ...
عنصرة : « لنجلاء » يا لثبالة النفس ! ...
« يقف أمام عبلة محدقاً فيها ملياً » وأنتِ ماذا فعلت ؟ .
هند : كانت تختلفُ إلى غدير ذات الإصاَد ...
عنصرة : ما أجملهُ مكاناً ! ...
هند : بل ما أعزّه من مكان ! ... أليس هو موطنَ حبكما
ومهدّ هواكما ؟ ...
عنصرة : ظريف ما تقولين ... « لعبلة » أكنتِ تختلفين إلى
غدير ذات الإصاَد لكي تذكّرني وتناجينني ؟ ...
عبلة : كلا ...
عنصرة : إذن لم تفعل من أجل شيء ! ...
عبلة : ماذا كنتَ تريد مني أن أفعل ؟ ...
عنصرة : أنْ نَـزْرِفِي عَلَى دَمْعَةٍ واحدةٍ ... واحدةٍ على الأقل ! .

- عبلة : كنت أعلم أنك عائدٌ إلينا لا محالة ...
عنتره : أكان محالاً أن أهلك ؟ ...
عبلة : لن تهلك قبل أن تدياني ما طلبت ! ...
عنتره : « ضاحكا ، لقد جلبتُ معي عجائبَ وغرائبَ ،
فتخيري منها ما تحبين ...
عظمطم : « لعنترة ، أما الآن للصناديق أن تفتح ، وأن تتنسمَ
الهدايا عبيرَ الصحراء ؟ ...
نجلاء : في الوقتِ مُفسحة ...
عظمطم : خيرُ البرِّ عاجله يا حسنائي ! ...
عنتره : إنه ليزدوب شوقاً إلى فتح الصناديق من أجل نفسه ...
دعجاء : « لعظمطم ، ألك فيها مآرب ؟ ...
عظمطم : مآرب شتى يا حسنائي ! ... لقد وعدني مولاى عنتره
أن يخصني بطرف نفيسة ، جزاء ما صنعت من جميل !
عنتره : أصنعتَ لى جميلاً ؟ ... أخبرنى ما هو ؟ ...
عظمطم : أتذكر أنك أنجيتنى من هلاك محتوم فى وقعة
الماطر ، ؟ ...

عنتره : أذكر ذلك ...

عظمم : لو منعُتكَ أن تُتسجيني ، وتركتُ جسمي تخترمه

سيوفُ العِدا ، فماذا كان يقع ؟ ...

عنتره : كنتَ تموتُ ويمنو أترك ...

عظمم : بل إن عنتره العظيم هو الذي لا قدر الله يندثر أثره ،

ويضيع ذكره ! ... إن موتَ عظمم راوية عنتره

وناقِل أخباره ومذيع اسمه في الخافقين لسيّد من

المصائب الجسام التي ألزمتُ نفسي بأن أدفعها عنك ...

اطمئن ... إن أتخلى عنك قط أيها المولى العزيز ! ...

عنتره : حقاً ما أكرمَ ما صُننت ! ...

« تتضاحك الفتيات »

عظمم : « الفتيات » إن من بين ما وعدني عنتره بإهدائه إليّ ،

طيلساناً من الخبز الخُسرواني له ثون الأُرْجُوان ...

ليس في مائر التحف ما يَشِدُّه نفاسة إلا طيلسان

شيخننا مالك ... إلى يا صويجباتي ، إلى لكي أطلعكنَّ

على ما لا عين رأت ولا أذن وعت ولا خطر يبال !

هند : هيّا ...

عنزة : « لطمطم ، افتح الصناديق ودع الفتيات يتخيرن ما يحببن ... أسامع أنت ؟ ... »

عطمطم : السمع والطاعة لمولاى ...

« ينصرف آخذاً بيد هند ومعهما دعباه

ونجلاء ... تبقى مبللة مع عنزة . . . »

عنزة : لم لم تمضى مع عطمطم لتختارى لك شيئاً ؟ ...

عبلة : ليست هديتى التى أريدها من هذه الهدايا ... أنت بهديتى عليم ! ...

عنزة : تعنين حجر الزبرجد ...

عبلة : لا أعنى سواه ! ...

عنزة : ألا تروى لك قلائد العقيقان ، وعقود الجمان ؟ ...

عبلة : يروى أن تنجز وعدك إياى .. وعدك الذى من أجله

اغتربت ، وفى سبيله تجشمت المصاعب والأهوال ...

عنزة : « متضاحكا ، اينك طلبت شيئاً أثمن من حجر

الزبرجد ! ... لقد كان يساع فى أسواق فارس كما

يباع التمر في البوادي ...

عبلة : ألم تحضره ؟ ...

عنزة : أُمِّصْرَةٌ أَنْتِ عَلَى أَنْ تَطْلِيهِ ؟ ..

عبلة : سبق لي أن طلبته ، وسبق لك أن وعدتني به ... هذا

كلُّ ما في الأمر ! ...

عنزة : سأكلف عظمطا أن يحضره لك الآن ...

« يلتفت نحو الطريق الذي سلكه عظمطم ،

ويهم بأن يناديه »

عبلة : لا تَعْجَلْ ... إنه الآن في شغل ... يوزع الطرف

على الصويغيات ...

عنزة : وِدِدْتُ أَنْ تَتَّقِي لَكَ بِمَضَ نَازِلَ الطَّرَفِ ... ما قرأ لك

في الخلاخل العسجدية المرصعة بقصوص اللؤلؤ ؟ ...

عبلة : لا أحب الخلاخل ، إنها كقيد الأسرى تشمر من

يَلْبَسُهَا بِالْمَذَلَةِ ...

عنزة : عجباً ... أترينها كذلك ؟ ...

عبلة : وإنى لأرى « الرجل » مشغولاً دائماً بإمدائها

إلى من يحبّ أ ...

عنترة : « مبتسما ، أرجح أنه يؤثر ذلك ليضمن بقاءه
محبوبته في كنفه ... »

عبلة : وإذا كانت محبوبته مقيمة على عهد ، وفيه لودّه ،
فما حاجته إلى الفيود ؟ ...

عنترة : ... ألا تروك الدّراعات ؟ ... لقد جئت بأشكال
بديعة منها ...

عبلة : إني لأوشر عليها قصان البدو ...

عنترة : « وهو يتفحص ثيابها بنظراته ، ماذا تلبسين ؟ ...
» يلاحظ أنها متلفعة بجلد الضرغام . . . »

عبلة : إنك لترى ما أبدس ...

عنترة : جلد ضيرغام ...

عبلة : كلا . . . إنه جلد الضّرغام يا عنترة . . .
ألا تذكر موقعته ؟ ...

عنترة : أذكر ذا ... لقد كانت إحدى معاشات الصبا أ ...

عبلة : كادت معاشات الصبا هذه تورّدك موارد الهلكة ...

عنتره : يا للسذاجة ! ... أية هلكة يا عبلة ؟ ... إن صراع
الضرغام ليعد مداعبة إذا قيس بصراع الجحافل في
ساحة الوغى '... ا... د يحد بصره في جلد الضرغام ، ...
أراك مازلت متعلقة بجلد ضرغامك هذا على الرغم
بما لحقه من تغير ...

عبلة : إني لِمَنْ يتعلقن بأذيال الماضى ، وِيحفظن
العهد ، حتى لِسَقَطِ المتاع ! ... ربما كان ذلك
فيما ترى سذاجة وقِصَرَ نظر ! ... « تتفحص جلد
الضرغام ملياً ، ... أنتَ على حق ... لقد أدركه
البلى ... فما يحمل بمثل أن تلبسه ... سألني به ا
« تخلع عن كتفها جلد الضرغام وترى به أمام
الحباء » : ... ذكرتنى أمراً ، لم أسألك كيف
كان صنيعك بقلبك الضرغام بعد أن أصبت منه
سمّةً تلاً ؟ ...

عنتره : عجيبٌ أمرك يا عبلة ... تسأليني عن أشياء لا أعى
منها قليلاً أو كثيراً ! ...

عبلة : قيل لي إنك أخذت قلبه منك تذكّاراً لهذه
المروقة . . .

عنبرة : « مبتسماً وقد عقد يديه إلى صدره » أحقا أخذتُ
قلب الضّرغام معي ؟ ... لو كنتُ فملت لكان قد
أصابه العطب ! ...

عبلة : جورّ فارس قَلْبُ لا يساعد على حفظ قلوب
الضراغمة ! ...

عنبرة : قد يكون ذلك ...

عبلة : ما أضعف هذا القلب الذي لا يقوى على
تقلب الجو ! ...

عنبرة : ليس لضعف القلب شأن ، إنما هي سنة الكون :
تغير وتبدّل بين عشية وصباح ! ...

عبلة : يخيل إليّ أن هذه السُنة لم تغزُ بعدُ صحراءنا الجافة ،
حيث تظل القلوبُ فيها على حال واحد ، لا يدركها
الوَهْنُ وإن طال المدى ! ...

عنبرة : ما زلتِ تذكّرين الصحراء كأنها قلبُ الدنيا

الحفاق . . . أنت تعيشين يا صغيرتى فى هذه
البقعة معصوبة العينين لا تبصرين شيئاً من حقائق
الحياة .. لو تخطيت حدود مكانك لأسفرت لك الدنيا
عن عوالم رحبة زاخرة بشتى الطرائف والأعاجيب !
عبلة : « وقد أسبلت جفنيها متحسرة » ما حاجتى إلى هذه
العوالم إذا فقدت قلبى ، وأضعت وجدانى ا ... إني
لأؤثر على هذا أن أقضى عمري لا أسمع ولا أبصر ا .
عنتره : لغو أطفال ا ...

« يظهر عظمطم فى ضجة ، وهو يحمل
صندوقاً ، وحوله هند ونجماء ودعجاء ...
يضع عظمطم الصندوق جانباً ، فبدأ
الفتيات فى تقليب ماذبه وتعرف محتوياته ،
إلا عبلة ، فانها تلزم مكانها لا تریه ، فيلاحظ
عنتره ذلك منها »

عنتره : ألا يروقك شيء مما ترين ؟ ... عندى طرائف
غير ما فى هذا الصندوق ...
عبلة : لقد أخبرتك بطيابتى ا ...
عنتره : « وقد التفت إلى عظمطم ، إلى بمسئبة العتيق .

المفضضة ا . . .

عظمم : تلك هي متى . . . لقد قدّرت أنك تطلبها . . . إن بها

طائفة من روائع القلائد ا ...

« يخرج العلة من صدره ، ويقدمها الى
عنزة . . . يبحث عنزة فيها ، ثم يأخذ
منها حجر الزبرجد . . . »

عنزة : لعلة ، هالك ما تطلبين ا ...

« تأخذ علة من يده الحجر في صمت ،
ونقله في يدها برهة . هند ونجلاء ودعجاء
يقبلن عليها متطلعات . . . تأخذ هند الحجر
من يد علة وتحدق فيه . . . »

هند : أهذا حجر الزبرجد ؟ ...

علة : هو عينته يا صغيرتي ا ...

هند : ليس فيه ما يُخزّي ا ...

علة : وليس فيه ما يسوّغ تجشّش الأهوال في طلبه ا ...

عنزة : لست من الحماقة بحيث أدع مثل هذا الحجر يكلفني

أىّ عناء ا . . . لقد عهدت إلى أحد موالى

في الحصول عليه ، فجاءني به من أهون سبيل ...

دعجاء : دوهى تنظر فى الحجر متفحصة ، حقاً إنه حجر
نفيس ا ...

عبلة : إذا كنت فيه راغبة فإنى أهبك إياه طيبة
الخاطر ا ...

دعجاء : إنه لك وحدك ... لقد جلبه عنتره من أجلك
أنت ا ...

نجلاء : دعجاء تنطقُ بالحق ... حجر الزبرجد ضالتك
المنشودة منذ أمدٍ يا عبلة ، فما لدعجاء أن
تسلبك إياه ا ...

دعجاء : ليس من شيمتى أن أسلبَ صديقى شيئاً يصبو إليه
قلها ا ...

عبلة : إنى فيه زاهدة ، وعن رضا منى أنزل لك عنه ...
هند : ولدعجاء ، أمعجبة أنت به حقاً ؟

دعجاء : لقد قلت إنه حجر نفيس ، وكفى ...

عبلة : إنما معجبة به أبداً ... ومازات أقول إنى لن أترددَ
لحظةً فى أن أهبها إياه ...

عنتره : « لو كنت أعلم أن دعجاء مَشْوُقة إلى هذا الحجر ،
لجلبتُ لها مثله ... »

عبلة : « لعنتره ، أحسب أن دعجاء تُؤثِّر على هذا
الحجر تلك الخلاخل العسجدية المرصعة بفصوص
الؤلؤ ... هبها خَلْخالاً ... »

« تتضاحك وهي تتلاعب بالحجر في يدها »

دعجاء : ماذا تقصدين يا عبلة ؟ ...

عبلة : لا أقصد شيئاً ...

عطلمطم : أقسم برب الكعبة إنني لم أفهم شيئاً مما قلتن ...

عبلة : إن من النُّسَعَم الكبرى على المرء ألا يفهم ! ...

« تسمع ضجة صادرة من بعيد . . . »

عنتره : ماذا ؟ ... « لعطلمطم ، امضِ فاستطلع الأمر ... »

« لا يكاد عطلمطم يتهاى للانصراف حتى

يرى حازم مقبلاً يهرول . . . »

عنتره : ما وراءك يا حازم ؟ ...

حازم : « في شيء من الذعر ، الأمير عمارة قَدِمَ اللحظة

ثُثراً مُخَضَّفاً ...

عبلة : « وقد قفزت إلى حازم ، والنسيان العُصفورية ... »

حازم : « إن فضاء الصحراء ليضيقُ بها ... »

« عبلة يبدو عليها الابتهاج . . . »

حازم يقول لغترة : « »

إن الأمير عمارة يامولاي لا يؤمن له جانب ،

فلتكن منه على حذر ! ... »

غترة : « وقد أدركه بعض الضيق ، ولكنه يتمالك ويتكلف . »

الضحك ، الأمير ضيف ، فميم الحذر ؟ ... »

« يظهر الأمير عمارة بفتة على رأس الربوة ... »

فيقف وففة المنحدي شاهراً سيفه ... »

عظمم : الأمير عمارة الكندي ... »

« الجمع يتطلع إليه »

غترة : « صائحاً ، مرحباً بالضيف الكريم ... »

« الأمير عمارة يثب من الصخرة ، ويخطو

بضع خطوات ، ثم يقف مرفوع القامة شامخ

الأنف ، مصوباً إلى غترة نظرات بيضة ... »

غترة يتابع قوله : « »

تقدم إليها الأمير .. إن عنثرة ليروح بـمـقـدمـك !

« الأمير يسير بخطا وثيدة تمر عن اعتداد

بالنفس وكبرياء »

عمارة : « لعنثرة ، أتذكر يا عنثرة ما قلتُ في آخر لقاء

بيننا ؟ ... لقد قلتُ لك إننا سنلتق يوماً ... »

عنثرة : « متكلفاً بالأسقام ، وقد التقينا ... »

عمارة : « أعلّ حرب ؟ ... »

عنثرة : « بل على سلام ووثام ... »

عبلة : « وقد تقدمت من الأمير تحية تحية بالغة ، أهلاً

بالأمير عمارة ... كنا نرتقبُ أوبشاك ... إن

أرجاء اليبداء لتتجاوبُ بهدير النياق ... »

عمارة : « إنها ألف لا ينقُصها واحدة ... »

عبلة : « عوفيتُ إليها الأمير ... »

عمارة : « لعنثرة ، وحجر الزبرجد ؟ ... »

عنثرة : « لقد زهدتُ فيه عبلة ... »

عمارة : « يبدو لي ... »

عبلة : « لعنتره » يسرني أن اعلمك الخبر . . . خطبني
الأمير عماره ، وقد رضيت له لي بعلا ...

عنتره : « ينظر إليها برهة نظرة تفحص ، ثم يقول في تباطؤ »
ما أجل أن يجتمع الحسب العظيم والفتنة النادرة ! ...
أهشك ! ...

عماره : يبدو لي ...
عنتره : « مقاطعاً وهو يرتب كتفه » يبدو لك أنه ليس ثمة
بيننا ما يبعث على الضغينة ...

عماره : « وهو يهز يده عنتره » ما أترقني بصداقتك ! ...
عنتره : « وهو يهز يده الأمير عماره » ما أكرم شخصيتك !
هند : « كأنها تحدث نفسها » شيء لا يطاق .. « لعظم »
احمل لنا الصندوق إلى الحباء . . . لا أستطيع أن
أنتقي منه شيئاً هنا ...

عظم : رأى هائب ... هيا ...

« يطلب إلى حازم أن يحمل الصندوق ،

فيحمله ويعضى به و... عظم . . . »

هند : « لاءِ عِجاء ونبجلاء ، ما وقوفكا هكذا ؟ ... ألا ترافقاني في
لتتخير التحف ؟ ... »

نبجلاء : لعل دِجاء تؤثر أن تبسقي ، ألا ترين الطريق إلى
عنتره قد تمهد ؟ ... »

دِجاء : « في أنفة » شد ما تخطئين إذ تحسبيني من هذا
الصنف ... لقد قلت لك غير مرة إن دِجاء تعاف
أن تشرب ثمالة الكأس من أحد ا ... هيّا لتخير
التحف .. »

« تنصرف دِجاء ونبجلاء ، تهم هند
بالانصراف فتسببها عبلة وتنتجى بها
تحية »

عبلة : « لهند ، سأرغب إليك في شيء ... فهل تجيبيني إليه
دون أن تسأليني إيضاحاً ؟ ... »

هند : لك مني ما تشائين ا ... »

عبلة : أرغب في أن تطلبي الفتى « سيفاً » ... زامر الحى ... »

هند : إنه منّا عن كسب يحوس خلال الخيام ... »

عبلة : إذن ... اسمي يا هند ... عي ما أقول ...

« تسر إليها حديثاً . الأمير عمارة
وعنترة في مكانهما يتصاحكان ويتنادران »

أفهمت يا هند ؟ ...

هند : فهمتُ يا عبلة ...

عبلة : أجزلي عطاءه ...

هند : أفعلُ ...

عبلة : عوفيت يا أختاه ! ...

« تنصرف هند »

عنترة : « لعبلة ، أحسب أن النياقَ التي جلبها معه

الأمير عمارة إنما ساقها لك مهراً ...

عبلة : أصبتَ ... إنها لآلف كاملة ... ألف من النياق

المنفورية النادرة ...

عمارة : ومن أكرمها عنصراً ! ...

عنترة : لستُ في ذلك بهرتاب ... كم لبثت في سبيل جمعها ؟ ...

عبلة : ستة أشهر ...

- عنتره : أليس هذا بكثير ؟ ...
- عبلة : إنه أقلّ من عامين اثنين كما ترى ... ١
- « فترة صمت »
- عنتره : « للأمير عمارة ، ومن أيّ الأصقاع لمت شتاتها ؟ ... »
- عمارة : من أسواق كثيرة ... لقد طوّفت في بلاد عدّة ...
- عنتره : لِمَ لم تقصِدْ خُسروان ؟ ...
- عمارة : أوفىها هذه النياق ؟ ...
- عنتره : تَغْصُّ بها الأسواق ...
- عبلة : كحجر الزبرجد ... ١
- عنتره : قلتِ حقاً ... « للأمير عمارة ، لو كنتِ أعلمُ حاجتكِ إلى هذه النياق لجلبتُ لك منها ما تريد ... »
- عبلة : « لعنتره ، ولكنني طلبتها منه ... »
- عنتره : هذا حق ... « للأمير عمارة ، إنني لأرجو أن تصلني بالأمير أو أصرُّ مودّة لا يشوبُ صفاءها كدر ... »
- عمارة : إنني لك أدباً صَفْصَفِيّ وفِي ...
- عنتره : لقد ساءني ما شجَرَ بيننا من خلاف مُقْبِلٍ أرهألي

إلى فارس ا ...

عمارة : إن حَفَاوَتِكَ بِ وَحَسَنَ لِقَائِكَ إِيَّايَ الْيَوْمَ قَدْ مَحَوَا
مَا سَلَفَ ...

عنبرة : لقد كُنْتُ فَظًّا جَبَانِي الطَّابِع ... ا

عمارة : وَلَكِنَّكَ الْيَوْمَ تَقْطُرُ ظَرْفًا وَتَسِيلُ رَقَّةً ... ا

عبلة : لَشَدِّ مَا تَغْيِّرُ ... إِنْ دَوَاهُ فَارِسَ قَدْ بَدَّلَ كَثِيرًا
مِنْ شِمَائِلِهِ ...

عنبرة : « لَعْبَلَهُ » وَهَوَاهُ الصَّحْرَاءُ ؟ ... أَلَا يَكُونُ لَهُ أَثَرٌ فِي
تَغْيِيرِ الشِّمَائِلِ وَتَبْدِيلِ الطَّبَاعِ ؟ ...

عبلة : لَا يَقِلُّ شَأْنًا عَنْ هَوَاهُ فَارِسَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ...

عمارة : « لَعْبَلَهُ وَعَنْتَرَةُ » أَلَا تَذْهَبُ لِتَشْهَدَ النِّيَاقَ الْعَصْفُورِيَّةَ
فِي مُنَآخِهَا ؟ ... « لَعَنْتَرَةُ » إِنَّكَ بِهَا لَخَبِيرٌ ...

عنبرة : سَأَغْيِبُ عَنْكَ رِيثًا أَبَدًّا يُبَايَ ...

عمارة : « لَعْبَلَهُ » هَيَّا قَبْلَ أَنْ يَرْشِقَ الظَّلَامُ سَدُولَهُ ...

عبلة : امْضِ بِنَا ...

« يَنْصَرِفُ الْأَمِيرُ عِمَارَةً وَمَعَهُ عَبْلَةٌ »

يشيعهما عنترة بنفاراته ، ثم يعتلى صخرة
فيجلس عليها ... تتوافد طلائع الليل ...
يرنو عنترة إلى السماء مرتقباً طلوع
القمر . . . يلوح القمر زاهياً وعنترة
ما برح شاخص البصر ... يبدو الفتى سيف ،
ويقف عن كئيب من عنترة منزوا عنه تخفيه
الظلال . . . ثم لا يلبث أن يشدو . . . »

سيف : « منشدأ ، أنت للعين ضياء أنت للروح دواء
أنت يا عبلة أنس ... لهو أدي وهناء »

« يتسمع عنترة وهو ناظر إلى القمر كأنه
في حلم ، يقف بفتنة وقد تملكه الغضب ...
يتأفك حواليه »

عنترة : « صائحا ، من هنا ؟ ... »

« يقع بصره على سيف ... يدنو منه ،
ويمسك به ، عذفا فيه »

من ؟ ... من ؟ ...

سيف : « في مسكنة وتذلل ، أنا سيف ... خادمك ...
سيف يا مولاي ... »

عنتره : أما زلتَ حيًّا أيها الكلبُ الشريد ؟ ... ما أتى بك هنا ؟ ...

سيف : جئتُ أنا جئ نفسي بأشودةٍ في ضوء القمر ...

عنتره : أبقصيدي تناجي نفسك أيها الوغد ؟ ... كيف استبحتَ لنفسك أن تتغنى بشعري ؟ ...

سيف : الخلقُ كلهم يَسْتَغْنُونَ بشعرك ، ويتذاكرون أخبارك ! ...

عنتره : حتى الصعاليك من أمثالك ؟ ! ...

سيف : أصعلوك أنا يا مولاي ؟ ...

عنتره : انظر إلى هيئتك ...

سيف : اخلع عليَّ مُطَرَفًا من مطارفك الفارسية تجسملُ هيئتي ويعمل مقامى ! ...

عنتره : أمسكْ عليك هذرك ... قلتُ إنى لا أحب أن يلوك الصعاليكُ قصيدي ... أفام أنت ؟ ...

سيف : إنى لك مطيع يا مولاي ...

« عنتره يدفعه . . . يبدو عططم . . . »

عظمم : أنت هنا يا مولاي والجمعُ هنالك ينتظرُ قدوتك ؟ ...

عنبرة : ما بدلتُ ثيابي بعد ...

عظمم : وما منعك أن تبدل ثيابك ؟ ...

عنبرة : متضايقا ، ثرتك وغاوتك ! ...

« يلتفت إلى العتي سيف ، ما برحت هنا ؟ ...

اغرب عن وجهي ...

« يهرع العتي سيف متثراً . . . »

عظمم : « وهو يتابع العتي سيفاً بنظره ، من ؟ ...

عنبرة : كلب من كلاب الحي ، اقتحم على خلوتي ، ليقلق

راحتي يا شاده ...

عظمم : ماذا كان يُشيد ؟ ...

عنبرة : نشيدى لعللة ... عبت من عبث الصبا الغابر ...

عظمم : بل إنه لأروع ما نظمت ...

عنبرة : اتسمي هذا شعراً ؟ ... ما أسقم ذوقك ! ...

عظمم : أذكر يا مولاي أنك صوّت هذا النشيد وقلبك

بالحب مُفعم ؟ ...

عنتره : « متضاحكا ، أى حُبِّ يا عظمم ؟ ... كنت
غريراً لا أفنقه كُنْشَه الحياة ...

عظمم : لقد كان حبك عميقاً ، ولقد كان يلهمك بدائع
القصيد ! ...

عنتره : كان ذلك في غابر الزمان ... عهد تقصّنى ! ...
عظمم : ولكن الشعر باقٍ لا يفنى ... إنه منقوش على
صفحة قلبي ...

عنتره : اقتصد في ذكره على لسانك ...
عظمم : لم ؟ ...

عنتره : لقد خطب الأميرُ عمارةً عبلةً ، ومودّنى للأمير
مُصُونَة لا أريدُ أن تُجرحَ ... فلتنسَ هذا
الشمرَ القديم الذى عفى عليه الزمن ! ...

عظمم : يا ضيعة ما وعاهُ صدرك يا عظمم ! ...
عنتره : لماذا ؟ ...

عظمم : ماذا تركت لعظمم أن يرويه عنك ؟ ...
إن قصيدك كلّه في عبلة ! ...

عنترة : وشعري في غيد فارس وصبايا الروم والترك؟...

عظمم : لن يَبُوحَ لساني بشيء مما قلتَه فيهنَّ . . .

أَوْحَسَيْتَ أَنَّكَ قُلْتَ فِيهِنَّ شَجْراً ؟ ...

عنترة : أَحْظَرُ عَلَيْكَ إِنْشَادَ شِعْرِ قُلْتَهُ فِي عِبلَةٍ ...

عظمم : حسبي أن أُسَدِلَ عَلَى أَسْتَارِ الْخِيَاءِ ، فَأَنْشِدَهُ

لنُعْمَى ! ...

عنترة : إِنَّكَ لِتَشِيرُ غَضَبِي ...

عظمم : « وَهُوَ إِلَى الْقَمَرِ نَازِرٌ ، تَمَلَّ » هَذَا الضِّيَاءَ الْبَاهِرَ

فَإِنْ غَضَبَكَ لَا شَكَّ يَخْبُو ... يَا لَجَمَالِ الْغَمْرِ

فِي أَفْقِ هَذِهِ الْبِيدَاءِ ...

عنترة : « وَقَدْ رَفَعَ إِلَى الْغَمْرِ بَصْرَهُ ، إِنْ الْقَمَرَ لَجَمِيلٌ »

فِي كُلِّ أَفْقٍ ...

عظمم : إِنْ لَهُ لَسِحْرٌ لَا يَمُدُّهُ سِحْرٌ ، وَهُوَ يُطْلُ عَلَى

هَذِهِ الْمَحَرَّاءِ الرَّحِيَّةِ ذَاتِ الْبَسَاطِ الْعَسْجَدِيَّةِ ،

وَقَدْ نَشَرَ فِيهَا الصَّمْتَ لَوَاءَهُ ...

عنترة : أَلَا يَفْتَنُكَ قَمْرُ فَارِسٍ ؟ ...

عظم : إني بقمر البيداء لأشـدُّ كلفاً ... انظر إليه
ألا تراه يـرِفُ بابتسامته الوضّاحة ، ويرنو
بعينه الساحرتين ؟ ...

• يأخذ بيد عترة ويسايره •

يخيل إلى أن شفّتيه الزاهيتين تترنمان بأعذب
النغم ...

• يعضيان في سيرهما مغادرين المكان ... •

ألا تصافح أذنك وسنوسته ؟ ... يالروعة الألحان
ينشدها هذا الملكُ البهي ...

• يبدو الفتى سيف وهو يسير المرمي

في محاذرة متفتيا •

سيف : « ينشد » :

أنت يا عبلة أنس	لفؤادى وهناء
حينما ترضين عني	بملا القلب الرجاء
فإذا الدنيا نعيم	وإذا الكون صفاء
وإذا بي في حبور	وابتهاج وازدهاء

الفصل الرابع

المنظر الأول

« الوقت : عشية ... أمام خباء عبلة ...
عبلة ودعجاء ونجلاء جالسات يفرزن ... على
مقربة منهن هند وقد تملكها ضيق ... يقين
على حالهن فترة »

- هند : الغزل والصمت ... دائماً الغزل والصمت ا ...
دعجاء : وماذا تبغين منا أن نفعل ؟ ...
هند : أن تتحدثن ... أن تتجادلن ... أن تتنازعن ا ...
إني لأفضّل أن أراكُنّ وقد تضاربتن وتماسكتن
على أن أراكُنّ تجلسن لا تنبسن ، وإن كنتن
على صفاء ا ...
نجلاء : أنكروهن أن يحلّ الوئام بين عبلة ودعجاء محلّ
الخصام ؟ ...
هند : وددت ألا يدوم هذا الوئام ...

عبلة : ألا يحق لنا أن نهدأ ونَقِرَّ بعد أن طال بنا عهد
الشَّحْناء ؟ ...

هند : مضت عشرون يوماً وأنتنَّ في خمول ... منذ
قدم عنترة لم يَنْشَبْ بينكما نزاع ... كان يقيني
أن سيِّدَ الفوارس سيِّدُ إلينا حاملاً معه بذرة
التنافس والشَّقاق ...

دعجاء : فكان أن عاد إلينا حاملاً بذرة السلام ، ناشراً بيننا
لواء الوئام ...

نجلاء : وحسناً فعل ... إنه أعانَ منذ قدومه أنه قد
نَفَضَ يديه من شُئون الغرام ، فلم يَبْدُ للتنافس
بيننا سبيل ...

عبلة : وقد نفَضْنَا نحن منه أيدينا ، قبل أن يَنْفُضَ
يديه ...

نجلاء : ليس في هذا ما يَضِيرُنا أو يَضِيره ... إن عنترة
يُكِنُّ لنا أصفى مودة وأصدق إخاء ...
لقد أتحفنا بفاخر الهدايا ... إنه وإيَّهم الحقُّ الفارس

- مَهْذَبُ النَفْسِ كَرِيمِ الحِصَالِ ...
عَبلة : وَمَا رَأَيْكَ فِي الْأَمِيرِ عِمَارَةَ ؟ ...
نَجْلَاء : لَا يَقُلُّ عَنْ عَنْتَرَةِ صَفَاءِ سَرِيرَةٍ وَنَقَاءِ نَفْسٍ وَشَجَاعَةِ
قَلْبٍ ...
عَبلة : بَلْ يَفُوقُهُ ! ...
دُعَاء : أَلَا نَهْ خُطْبُكَ تَحَاوِلِينَ أَنْ تُغْنِدَنِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَزَايَا
فَوْقَ مَا يَسْتَحِقُّ ؟ ...
عَبلة : إِنْ الْأَمِيرِ عِمَارَةَ سَيِّدُ هَذِهِ الْبَادِيَةِ غَيْرَ مُنَازَعٍ ! ...
دُعَاء : مَا أَعْجَبَ أَنْ تَفَاضَلَ بَيْنَ عَنْتَرَةٍ وَبَيْنَ الْأَمِيرِ عِمَارَةَ ! ...
عَبلة : لَا تَتِمَادِي يَا دُعَاءُ فِي التَّسْمُدِّحِ بِعَنْتَرَةٍ ، فَتُشِيرِي حَوْلَكَ
غُبَارَ الظُّنُونِ ...
دُعَاء : أَيُّهُ ظُنُونٍ أُثِيرُ غُبَارَهَا ؟ ...
عَبلة : لَقَدْ دَفَنْتِ حَبَّكَ فِي الْقَبْرِ الَّذِي حَفَرْتَهُ لِعَنْتَرَةٍ ...
فَلَا تَنْشُئِي رُقَاتِ الْمَوْتِ ...
دُعَاء : وَحَبَّكَ إِيَّاهُ ... مَاذَا صَنَعَ اللَّهُ بِهِ ؟ ... يَخِيلُ إِلَيَّ أَنَّهُ
مَا بَرِحَ يُهَضِّمُ نَارَهُ بَيْنَ جَوَانِحِكَ فَيَأْكُلُهَا ! ...

- نجلاء : أئمة مشاحنة تبتدأها ؟ ...
- هند : « مبتهجة » دعيهما ... دعيهما ...
- عبلة : ليس ئمة من مشاحنة ... إنما هي معاينة أختين ...
- أليس كذلك يا دعجاء ؟ ...
- دعجاء : الأمر كما تقولين يا عبلة ...
- عبلة : « لدعجاء ، أريد أن أجاولك بعض ما قد يغشمه عنك ... »
- « أنا لم أحبب عنترة ، ولكنه هو الذى أحببني ... »
- دعجاء : ربما كان قد أحببك ... أحبك فى زمن مضى ...
- عبلة : لقد جلسب لى معه حجر الزبرجد ...
- دعجاء : تزعمين أنه ما قىء بك هيمان ؟ ...
- هند : ولم لا يكون كذلك ؟ ...
- عبلة : لقد تجشمت فى الحصور على حجر الزبرجد جسم المصاعب ...
- دعجاء : « قصارى الأمر أنه وعدك بإحضاره لك ، وما كان له أن يخلف الوعد ... »

نجلاء : ألم نَقُلْ إنه فارسٌ مذهب النفس كريم الخصال ؟ ...

عبلة : يُحسِن اختيارَ الهدايا لصواحيبه ...

دعجاء : ليس حجر الزبرجد بأثمن مما خصَّنا به ...

عبلة : ولدعجاء ، ضاحكة ، أصبت ... ولذلك قذفتُ به

في الحُباء ، فلم أعره جانب اهتمام ... أما هديته لك :

تلك القلادة والقرط والخلائخال ، فإنك تتحاشين بها

على الدوام ... ما أشدَّ اعتزازك بهديته ! ...

نجلاء : اعتزاز صديقةٍ وفيّةٍ لا ترضى لنفسها إنكار الجميل ...

عبلة : ولكن دعجاء تحصرص على أن تبدو في هذه الحليّ أمام

عنبرة ، اجتذاباً لناظره ! ...

دعجاء : أنا التي تحاول اجتذاب ناظره ؟ ... ألا تَسْرِيْنِ إلى

نفسك وقد اتَّخذتِ على جبينك هذه العصاة التي

لا تستبدلين بها غيرها ؟ ...

عبلة : إنها من سَقَطَ المتاع ...

دعجاء : بل إنها هديته إليك مُقيَّل ارتحاله ... ولطالما كانت

حييةً إليه ، ولطالما كان حريصاً على أن تتعصبي بها

حين تَلَقَّيْنَهُ ، فكنْتَ تَابِين اتخاذا تمناً
ودللاً ... أما اليوم يا عبلة ، فإنك ...

عبلة : « وقد نزعْتَ العصاةَ عن رأسها ، ... أما اليومَ
يا دجاءَ فإني أنزلُ عنها لكِ ، إذا طمحتُ إليها
عيُنُك ! ...

« تمد يدها بالعصاة إلى دجاء ، لئلا لك فيها أرباً ...
إن عبلة لا تنسب هذه الأحاديثَ الرخيصةَ
لصَيِّدِ القلوب ! ...

دجاء : أنسكِ عليكِ عصابتك ... إني لا ألاحق الرجالَ
وهم عني مُعْرِضُونَ ...

عبلة : ماذا تريدِينَ بقولك هذا يا دجاء ؟ ...
نجلاء : يا لله من هذه الماهرة ! ... هلاً كَفَفْتُما عن
هذا النزاع ؟ ...

هند : وَدِدْتُ أَنْ يَفْجَأَنَا عَنْتَرَةٌ الْآنَ لِيرى وَيَسْمَعَ
ما يدور في شأنه ! ...

نجلاء : ألا فلندعُ حديثَ عنترة ، ولنحسمْ هذا الشُّقَّاق ...

عبلة : « وقد تماكنت ، لا شقاق ... إنما هو تجاذب
كلام ! ... أليس كذلك يا دجاء ؟ ... »

« تقول ذلك غير ناظرة إليها . . . »

دجاء : الأمر كما تقولين يا عبلة ...

« تقول ذلك غير ناظرة إليها أيضا . . . »

نجلاء : يسعدني أن أراك تتصافيان ...

دجاء : « وقد أخذت مغز لها وجلست جالستها الأولى وشرعت

تغزل ، إن الصفاء يملأ قلوبنا دائماً ... »

عبلة : « وقد بدأت هي الأخرى تغزل ، لم نكن في وقت ما

أصفي قلوباً بما نحن الآن ... »

« نجلاء تقبل كذلك على مغز لها . . . »

فكرة صبت لا حركة فيها إلا حركة الغزل ...

« هند ترنو إليهن »

هند : « مغفمة ، ما أشقى البادية بتلك المغازل . . . »

آه ، لو كان في طوق أن أحطمها لما أبقيت

منها شيئاً ! ... »

« الصمت يتتابع »

إن تلك المغازل تجلب لي دُواراً ...

« تصيح ، دراراً تضيق به عليّ الأرض ! ... »

نجلاء : « تقف مغز لها ، تقول لهند ، لقد أراحك الله من

مغزلي ... لم يبق لديّ من صوف أغزله ! ... »

هند : أحمد الله على هذا ...

« لدعجاء ، وأنتِ ، أَلَمَّا يَنْتَسِه الصوف الذي

معك ؟ ... »

دعجاء : « تقف مغز لها ، قارب أن ينتهي ... »

« نهض نجلاء »

نجلاء : « لدعجاء ، ألا تصحح بيّني لآتي بصوف

جديد ؟ ... »

دعجاء : حباً وكرامة ...

نجلاء : « لعبلة ، ألا تمضين معنا ؟ ... »

عبلة : « وهي على مغز لها عاكفة ، ما زال الصوف بين

يديّ غير قليل ... ولكني بكأ لاحقة عمّا قريب ! ... »

نجلاء : لا تبطلنى عنا ...

عبلة : لن أبطل ...

« تنصرف دهباء ونجلاء ، عبلة تسوى

المصابة على جبينهما كما كانت من قبل ... »

هند : « مبتسمة ، لعبلة ، إنه يحوز بهذا المكان قبيل الظهيرة كل يوم ... !

عبلة : « متباعدة ، أليس هذا طريقه إلى مفسد خياله ؟ ...

هند : إن الطرق شتى ...

عبلة : « مبتسمة ، إنه يسلك أيسر الطرق .. لا يريد أن

يسخر على الطرق الصغيرة ، خشيته أن يقول الناس

إنه يتجنب هذا الطريق السلوك ، فراراً من عبلة ...

هند : أو قد شرع يفكر حقاً في الفرار منك ؟ ...

« عبلة لا تحب ... فترة صمت ... ثم تقول هند : »

ولكن أسائل نفسي : إذا تعرضين لفترة بُغية

تصيده ، وأنت الأمير مغمارة بخطوبة ، وزواجك

منه وشيك ؟ ...

- عبلة : « متضحكة ، يروق عبلة أن تائهو ...
- هند : أيهما تؤثرين : عنصرة أم الأمير ؟ ...
- عبلة : أنا لا أوثرُ أحداً ... كلاهما إلى يسرى ... ١
- هند : ومن منهما تزوجين ؟ ...
- عبلة : الأمير عمارة ...
- هند : أنت لا تُكِنين له حباً ...
- عبلة : كثيراً ما زفَّت الفتاةُ إلى من لا يهفو فؤادها إليه ١ ...
- هند : يا قلبك القاسى العنيد ... ما أحبُّ لك أن تتلمهى بقلوب الرجال ... وما يستحق منك عنصرة هذا الجزاء ١ ...
- عبلة : ألم يلهُ بنا ياهند ؟ ... أما رأيت كبرياءه وتعالىه علينا وهو يتشدَّق بأنباء فارس وأحاديث بلاد الروم ؟ ...
- ألم يعلن أنه أصبح سيد قلبه ، وأن غرامه الأول لم يكن إلا ضلالةً صحا قلبه عنها ١ ؟ ...
- هند : وما أنت حانئة ؟ ...

- عبله : لست بصانعة شيئاً ...
- هند : عجباً ...
- عبله : قالت لك إن عبلة يروقها أن تلمو ...
- هند : والفتى سيف ، ما خطبه ؟ ...
- عبله : ألم ترأيه ؟ ... إنه دائم الاختلاف إلى عنقرة ...
- هند : ينشد الأناشيد الرقاق ...
- عبله : أناشيدى التى يتغنى فيها عنقرة بحبي ويشيد بمفاتي ...
- إني أتبين سيفاً قادماً . . . ليتك تحدثت بشيء
- طيب ! ... يقدم الفتى سيف ، : تعال يا سيف ...
- أحسنات بحضورك الآن صنعاً ...
- سيف : مولاتى ...
- عبله : هل من جديد ؟ ... قل لى : أيا نس عنقرة بأناشيدك
- أم ما فتىء صادفاً عنها ؟ ...
- سيف : إنه لسينتـهرنى تارة ويُغضى تارة أخرى ! ...
- عبله : لا أريد منك أن تلاحقه ...
- سيف : لى ألاحقه ، ولكنى أتوَحِّى أوثقاتِ صفوه ...

عيلة : « لهند ، القمرُ يا هند في اكتمالِ تالقِهِ ... وشدُّ ما

يحاول التَّنَزُّهُ في فَيْضِضِهِ البَهِيمِ ! ...

صيف : إنها لأمسيَّاتٌ رائعةٌ تتأرَّجُ بأنفاسِ

الآزاهير ...

عيلة : « لسيف ، والبَخور الذي أعطيتُكَ إياه ؟ ...

صيف : كلها واتَّسنى الفرَّصُ تسَلَّتْ إلى خيمته في مُجنَّحِ

الليل ، فمَلَّتْ المجامرَ بهذا البَخور ...

عيلة : حسناً ...

« نخرج من صدرها مرة فتناولها

إيما »

صيف : شكراً مولاتي ... بقيتِ ، وبقيتْ عطايَاك ! ...

عيلة : والآن أنتَ وشأنُك ...

« ينصرف سيف وهو ينحني تحية لها ... »

هند : وما سرُّ هذا البَخور ؟ ...

عيلة : إنه تخليطٌ من أعوادِ ذكيَّة الرائحة لا يعلم

سرُّها سواي . . . كنتُ أطلقُ هذا البَخور حين

كان عنتره يلقاني في الحباء ... فكان به شديد
الشغف ا ...

هند : أنظنين أنه يابه له اليوم ؟ ...

عبلة : اعلى يا هند أن الأطياب خصائص عجية ...

إنها لتغلغل في شهاب القلوب وتبلغ أعماق
السرائر ، فتبعث من مرآقدها غابر الذكريات ،
وتلهب ما نحمد من كامن العواطف ... كل ذلك
في لطف وعذوبة ولين ... إنها لتفعل فعل
السحر ... ذكرتني ... ألا تحضرين لي آنية
الطيب من الحباء ؟ ...

هند : آية آنية ؟ ...

عبلة : الآنية النحاسية ...

هند : طيبك القديم الذي هجرته زمناً ... أراك تعودين

إليه ا ...

عبلة : إنه طيب عنتره المفضل لديه ...

« تحضر هند آنية الطيب فتأخذ عبلة في التطيب به »

هند : « في دعاية ، ألا تدعيني أتطيب بطيبك
هكذا ؟ ... »

عبلة : لن يتطيب بطيب عبلة أحد سواها ...

« يسمع خفق أقدام ... تلفت هند »

هند : إنه لقادم ... سادعك له ...

« تخفي هند ... يبدو عنقرة ... يلح

عبلة بباب خبائها ، فيتداني إليها . . . »

عنقرة : نعيم مساؤك يا عبلة ...

عبلة : نعيم مساؤك يا عنقرة ...

عنقرة : حسن أن يكون خباؤك على طريق ، فأسعد باجتلاء
طلعتك ! ...

عبلة : أشكرك لك ! . . . وما حاجتك إلى اجتلاء
طلعتي ؟ ...

عنقرة : إن طلعتك لتفسع نفسي بالبهجة والإيناس ...

عبلة : إنك لتجيد في طاعة غيري من صبايا القبيلة أو من

جواريك بنات فارس ما يبهجك ويؤنسك ! ...

عنبرة : « مبتسما ، لِطَلَعَتِكَ يَا عِبلَةُ ضياءُ لا يباريه
ضياءُ ! ...

عبلة : إن عِبلَةَ تحفظُ ضياءَها لمنْ خطبها ... الأمير
عُمارَةُ ! ...

عنبرة : « مبتسما ، ذلك في عِلْسِي ... ولكن ألا يَشَمُّ المرءُ
عِطْرَ الزهر في بُسْتَانٍ جارِه ؟ ... الحُسْنُ
كالعِطْرِ ، كلاهما مُباحٌ لمن يَشَمُّ ومن يتطلَّع ... !
« يستنشِقُ النسيم حول عِبلَةَ ، ما أذكى الطَّيِّبَ الذى
يَنْفَحُ مِنْكَ ! ... إنه عِطْرُكَ القديم ...

عبلة : لم أستبدل به غيره ! ... هو طيبى المفضل ...
عنبرة : وهذه الصَّابَةُ ... ما أبدعَها ... لم تفقدِ بهاءَها ...
ولن تفقدَ قَدْرَها ! ...

عبلة : إنها عصا بَتِي التى اتَّخِذْتُها كلَّ يوم ... يَروُقنى
لونُها ! ...

عنبرة : إنكِ لِحَفِيَّةٌ بَرِيَّةٌ ...

عبلة : شأى دائماً ...

- عنبرة : المرأة لا تزيّن إلا للرجل ...
- عبلة : لي خاطب عليّ أن أحترفَ بقلبه ...
- عنبرة : وهل تخشّنين علي قلبه أن يشُرّد إذا لم تُؤبليش
بهذا السّياج ؟ ...
- عبلة : وهل يؤمنُ للرجال جانب ؟ ...
- عنبرة : دمداعباً ، وهل سبق أن شرّد منك قلب ؟ ...
- عبلة : إن قلباً تملكه عبلة لا يستطيعُ عنها فكاً ...
- عنبرة : أنت بنفسك شديدة الزّهو ...
- عبلة : ألا تراني بهذا الزّهو خليقة ؟ ...
- عنبرة : أراك على الدّوام ساحرة ...
- عبلة : « ضاحكة » نحن إذن على وفاق ! ...
- عنبرة : أتهوين خاطبك ؟ ...
- عبلة : المخطوبة تهوى خاطبها ...
- عنبرة : ما أيسر أن تهوى المخطوبة من تحبها ... ولكن
هل لهذا الهوى من دوام ؟ ...
- عبلة : الوفاء في الحبّ من شيم النساء ... أما الرجال ...

عنبرة : حَقًّا إِنَّ قَلْبَ الرَّجُلِ قَلْبٌ ... وَلَكِنْ لَهُ فِي ذَلِكَ
عِذْرُهُ ، إِنَّهُ لَيُنْكَرُ قَلْبَهُ فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ ... أَمَا
الْمَرْأَةُ فَجَدُّهَا الَّذِي تَهْدِفُ إِلَيْهِ هُوَ الْقَلْبُ تَحْتَ
رَايَةِ الْحُبِّ ...

عبلة : وَمَا أَشْقَانَا بِهَذِهِ الْقُلُوبِ ! ... بَلْ مَا أَسْعَدَنَا بِهَا ! ...
إِنَّمَا نَسْتَمْرِيءُ السَّعَادَةَ مِنْ سَعِيرِ هَذَا الشَّقَاءِ ...

عنبرة : لَكُمْ تَغْيِيرٌ نَظَرَاتِي فِي الْحَيَاةِ وَالْحُبِّ ...
عبلة : الْحُبُّ الْأَصِيلُ لَيْسَ بِالثَّوْبِ الَّذِي يَخْلَعُ بَيْنَ
آنَ وَأَنْ ! ...

عنبرة : أَيْبَنِي ...
عبلة : إِنَّهُ جَذْوَةٌ دَائِمَةٌ التَّوَقُّدِ ، لَا تَحْبُسُو إِلَّا رِثْمًا
تَتَوَقَّعُج ...

« تَقْبَلُ عَلَيْهِ ، وَتَرْنُو إِلَيْهِ . . . »

عنبرة : مَا أَجْمَلَ عَيْنَيْكَ الْيَوْمَ يَا عَبْلَةَ ...

عبلة : هُمَا عَيْنَانِي دَائِمًا ... هُمَا هُمَا ...

عنبرة : وَهَذَا الْكَحْلُ ... مَا أَفْتَنَهُ ! ...

- عبلة : إنه كحلى الذى أنكحجلى به منذ نشأتى ...
- عنبرة : عجباً لى ، كيف أبيع انفسى التطلع إلى مفاتيك مستمتعاً ، وأنت لغيرى ؟ . . . إنه امتهان للصداقة التى بينى وبين الأمير عماره ... على حين أننى أقدره وأكبره ! ...
- عبلة : ألم تقل إن للبرء أن يشم عطر الزهر فى بُسْتَانٍ جاره ؟ ...
- عنبرة : ولكن المرء طموح نزاع ، قد لا يقنع بالشم ، فتشربه نفسه إلى القطف والاعتلاك ... !
- عبلة : لقد كانت الزهرة منك دانية المنال ، فتركت غيرك يسبقك إلى اقتطافها ... !
- « يقيه عنبرة بنظره فى الفضاء برهة ... »
 « فترة صمت »
- عنبرة : هى الأقدار يا عبلة ! أقر لك بأن صفحتى هى الخاسرة ! .
- عبلة : « فى سهوم ، وقد تكون الراجح . . . لا تعجل بالحكم ! ... »

عنتره : إنه ليتعذّرُ على المرمِ أن يفرقَ أحياناً بين الفَوْزِ

والإخفاق... ليس بهَيِّينَ أن نَيزَهُما بِعالمٍ واضحه ...

ما أراه إخفاقاً قد يَعُدُّه سِرّاًى فوزاً دِينياً ...

عبلة : سَلْ قلبَكَ يُنبِئُكَ بالخبرِ اليقين ! ...

عنتره : وعَقلى ... ألا أَسْتَفْتِيهِ ؟ ...

« يبدو عظمم على الربوة »

عظمم : مولاي عنتره ...

عنتره : ما بالك ؟ ...

عظمم : شيوخُ القبيلة ينتظرون لقاءك ...

عنتره : أنه إليهم أنى قادم الساعة ...

عظمم : السمعُ والطاعة ...

« ينصرف »

عبلة : « لعنتره ، إنهم ينتظرونك للتشاور في أمرِ بني

فَهْد ... لقد اشتدَّتْ بهم الرغبة في قتالِ تلك القبيلة

الشَّخْصُوب ...

عنتره : ولمَ لم يقاتلوا في مَخِيبى ؟ ...

عبلة : هم يعلمون أن أمر بني فهد لا يحسن الفصل فيه
إلا عنزة ... فيمقدورك وحدك أن تنقذ
شوكتهم وتردّ جماهم ...
عنزة : ألم يعزّ لهم أن يستصبروا بالأمير عمارة ؟ ...
أليس هو أشجع أهل البادية ؟ ...

• أصبحت صلبة قلباً ... ومي إليه
رانية : ففحصه

عبلة : الأمير عمارة وإن كان أشجع أهل البادية فيمكن
غريباً عن قبيلتنا ، فما يحصل بأبي أن يستنصر
على عدوه ؟ ...

عنزة : ولكن أبك لا يستنكف أن يزوجه ابنته ...
لم يبد الأمير عمارة غريباً ، وقد صار للقبيلة
صهراً ؟ ...

عبلة : ألا تأنف أن يُزعم الأمير عمارة على رجال القبيلة
دونك ؟ ...

عنزة : لا أنف كرامة لك وإعزازاً له ... إن الأمير

قارسِ صنديد ، وسأمدّه بالمشورة ، وأكون له
طيراً ، ما استطعتُ إلى ذلك سبيلاً ...

عجلة : أخشى عليك يا عنزة أن يسلبك الأمير
معمارة زعامة الجيش ، بعد أن سلبك إمارة
القلب ! ...

عنزة : أو قادرٌ هو حقاً على أن يسلب الإمارات
استلاباً ؟ ... إني لأراه يناها منحا لا غلاباً ! ...

عجلة : ما تعدّه أنت منحة يعدّه هو حقاً يستطع أن يملكه
بدهائه تارة وبسطوته تارة أخرى ...

« بعد هنيئة ، ألا تراك قد أبطأت عن مجلس
القييلة ؟ ... »

عنزة : لم أقض وقتي معك عيباً يا عجلة ... طاب ليلاك ! ...
عجلة : طاب ليلاك ! ...

• يأخذ يدها ويقف قبالتها لحظة يتوسمها
ويتوسم ... يتركها بفتنة ، وينصرف حيث
الخطا

المنظر الثاني

« الوقت مساء . . . داخل خيمة عنبرة
الأنفة . . . الترف الفارسي يتجلى في أروع
مظاهره . . . عنبرة وعظمم على وفي
الوسائد . . . بين يديهما مائدة الشراب »

عظمم : وغزوة بني فتمد ؟ ...
عنبرة : فرغتنا من أمرها ، وأجتمعتنا الرأي فيها ...
تقاسمنا أسلابها ...
عظمم : عجبت لكم تقاسمون الأسلاب ، وأتم في دياركم
قابعون ! ...
عنبرة : أويخالجك الريب في غلبة عنبرة على تلك
الشراذم ؟ ...
عظمم : لا يخالجنى أى ريب ، ولكن لا تنس يامولاي أنه
قد أصبح لتلك الشراذم شأن يعد ... إنها تتبسط
سلطانها على قبائل الجنوب ، وقد تفردت بشجاعة
نادرة ، فهاها الناس وخمشوا ما لها من بطش ...

عنتره : لم يكن لهذه القبيلة ذكرٌ قبل رحيل إلى فارس...
إن صغار الثعالب لتُطل من أجحارها وترفع من
هاماتها إذا آنست غيبة الأسد... ولكني سأشعرهم
أن الأسد قد عاد إلى عرينه... وسترى كيف يكون
مصيرهم على يدي...!

عظمم : «وهو يجرع كأسه، ستنتظروهم الحية والذئبة» حتما...
عنتره : إني لأسأل نفسي كيف استنام أشياخ القبيلة لتلك
الشراذم، حتى تفاقم أمرها، واستفحل شرها...
عظمم : ماذا ترجو من زمرة كُسالى لا يجمعهم رأي،
ولا يلم شئاتهم ساعدٌ ممكن؟...

عنتره : وأين الأميرُ عمارة الكندي؟...
عظمم : إنه رجلٌ أميل إلى السلم، يريد أن يحيا حياة دعة
وطمأنينة يستمرى الرفاهية في ظل ثروته الطائلة...
عنتره : «وهو يضحك ملء فيه، أو تزعم بالسان السوء أن
الأمير عمارة ليس بحرب ولا لقتال؟...»
عظمم : من كانت له ثروة الأمير نخشى عليها ويلات

الحروب ... يقولون إنه رجلٌ داهيةٌ ا ... بكياسته
وحيلته يكنسبُ المعارك دون أن يشنَّ غارةً
أو يفقد رجلاً ...

عنتره : « وهو يضحك والكأس إلى فمه ، أكرم به من أمير
داهية ا ... »

عظمم : ولكن كان خليقاً به أن يتقدّم إلى القبيلة في هذا
الوقت ، ليشدّ أزرها فيما هي مُقبلةٌ عليه من
غزو بني فهد ...

عنتره : لا أرضى أن يشدّ أزري أحد ، وبذلك صارحتُ
الجميع ...

« يجرع عنتره من كأسه ... يصمت برهة »

لندع أميرنا عمارة يتقلّب في أعطافِ نعيمه ...

عظمم : حسناً نصنع ، فإنه يزفاه مشغول ...

عنتره : ماذا يفعل ؟ ...

عظمم : يبدؤُ العدة لأعظم عُرس شهدته البادية ا ...

ستحضر ذلك العرس بلاريب ...

عنتره : حبيبى إلى أن أشهد عرس الأمير ، ولكن لست
أدرى أمستطيع أنا ذلك مع انهم ما كى فى أمر
الغزو ؟ ...

عظمم : ألا تؤجل هذه الغزوة إلى ما بعد حفل الزفاف ؟ ...
عنتره : ولم لا يؤجل الأمير حفل زفافه إلى ما بعد الغزوة ؟
عظمم : سيان هذا وذاك ... نتفق على أى الأمرين ...
عنتره : سأعين لغزوتى اليوم الذى أراه ملائماً لى ...

عظمم : ألا تستطيع أن توفى بين الأمرين إكراهما لبعلة ؟ ...
عنتره : « وقد صب الكأس فى فيه ، يصيح ، أظن أنى
أعبث بمهمنى العليا من أجل غابة من غيد الحلى ؟ ...
ما أجهدك بشئون الحرب يا عظمم ! ... إن للحرب
لمطالب لازم على أن أضطلع بها لا ألوى على شىء ...
عظمم : « مغنما ، الحرب ... الحرب ... لن نستريح منها
أبد الدهر ... »

عنتره : تريدنى كالأمير عمارة أركن إلى الدعة ، مستعزناً
حياة الرفاهية ...

عظمم : عفواً مولاي ... ولكن على المحارب أن يهادن نفسه

بين حين وحين ، للاستجمام والتشريفه ...

عنتره : لقد طالت بنا المهادة يا عظمم في ركود هذه

الييـداء ...

عظمم : ما كدنا نتذوق طعم الراحة حتى مُسِينا بخبر

بنى فهد ... ألا سُحقاً لقدم وأبناء فهد ! ...

عظمم : لن يَطْمَئِنَّ لَكَ جَنْبٌ هَدَمْتَ فِي سُجُنِي ...

لتعلم أني بِرَمْتُ بِحَيَاةِ اليداء وأهل اليداء ... لقد

أزمتُ عنها رحيلاً ... كُنْشُدُ الرَّحَالَ إِلَى

فارسٍ عما قليل ...

عظمم : ألم تضربُ لذلك موعداً ؟ ...

عنتره : حينَ قَنَسُضُ أَيْدِيَنَا مِنْ أَمْرِ بَنِي فَهْدٍ ... فنَحْذُ

أَهْبَتِكَ لَدُنْكَ يَا رَاوِيَتِي الْعَظِيمِ ! ...

عظمم : دَعْنَا اللَّيْلَةَ مِنْ حَدِيثِ فَارِسَ وَشُؤْنِ الْحَرْبِ ...

وَلْنَتَشَعِمَ بِمَجْلِسِنَا هَذَا بَيْنَ الْكَاسِ وَالطَّاسِ ...

» يقبلان على الشراب ... بعد لحظة يدخل

سيف متسالا في حذر وفي يده بحمرة ،
فيضعها في زاوية من الحجرة ويلقى فيها بعض
الأعواد ، فيسطم البخور ... وينصرف سيف
عجلا دون أن يشعر به عنتره وعظم . »

ألا ربك أرغف سمعك لهذا السكون الشامل
وارتشف أفوايقه ، ثم ارم بطرفك في الفضاء
الرحب يكسوه القمر بلآلئه البهيج ... أحرام
أن ننعم لحظة بهذه المتعة ؟ ...

عنتره : « وهو يستنشق البخور ، ما هذه الشاعرية الفياضة
يا عظم ؟ ... قل لي : أأنجب حقاً هذه البيداء ؟ ...
عظم : أشعر في هذه اللحظة بأني أعبدنا ! ... »

« يعب من كأسه »

عنتره : « وهو يطيل استنشاق البخور منتشياً ، وقد جلس
جلصة استرخاء ، وجعل يشرب ، صفها لي يا حنّاجة
العرب ! ... »

عظم : البيداء يا مولاي فردوس الكسالى ! ... »

عنتره : « متضاحكا » ما أبدعَ ماقلت أيها الحكيم المحببول ...

ولهذا تربستني على أن أقضى في اليبداء أيامي كسلان

قاعدا ... ما أطيب هذا البسخور ! ... منذ أيام أرى

المجامر تتوهج بهذه الأعواد الذكيّة ...

عظمم : بخور طيب أميل ... إن أرديل ليحسن تأليف

الأعواد العطرة ...

عنتره : « وهو يخلد إلى الراحة فافر الجلدة » ليس هذا من

صنع أرديل ... لا يحسن تأليف هذا البسخور

إلا عربيّ من أعرق أهل البادية ! ...

عظمم : لعله ابن حبناء ...

عنتره : لعله ... « وهو يتمطى » إن هذا البسخور ليكمل

في تضاعيفه صورا محببة ... ذكريات عزيزة ...

لأنه يسلمني إلى نشوة لذينة ! ...

عظمم : ألا أدعو لك بجواربك الفارسيّات ، تقضى معهن

وقت منادمة وصفو وموانسة ؟ ...

عنتره : افعل ما بدا لك ...

« لا يكاد ينهض عظمى حتى يردد:

عنتره »

لا حاجة لى بجوارى فارس ... يا لله من رائحة هذا
البخور! ... « ينهض عينيه، يكاد النعاس يملك عينى ...
إنه كالضباب الرقيق أحسسه يغشاني بغلائله ... لاني
لاستبين فى غضون هذا الضباب أطيافاً لطافاً تنهذى،
يستطير منها عطر الصحراء ...

عظمى : لمن تكون هذه الأطياف ؟ ...

عنتره : « وهو مسبل الجفنين ، عذارى البدو الملاح ...

عظمى : أكرم من حسناً فانتات ! ...

عنتره : لتصفن لى هاتيك العذارى يعطهظم ! ...

عظمى : لقد سبقتنى إلى وصفهنّ عليم ... عذارى البادية ...

كظباؤها ! ...

عنتره : هذا حق ...

عظمى : ألا أسمعك فى ذلك قول شاعر ؟ ...

عنتره : أنشدنى ربك ما قاله شاعرك ...

عظمم : أَشْبَبْتِ هَذَا الظَّبْيَ حَسَنَ مَلَا حَةٍ
حَتَّى نَحْيِيَّ كُلَّ وَصْفٍ فِيكَ
لَكَ جِدُّهُ وَلِحَاظُهُ وَتَفَارُّهُ
وَعَدَا تَكُونُ قَرُونُهُ لَا يَكُ
عَنْتَرَةٌ : دِ يَذْبَهُ مِنْ غَفْوَتِهِ ، وَيَضْجُ بِالضَّحْكَ ، مَا أَظْرَفُ
مَا أَشْدَّتْ يَا لِسَانَ السُّوءِ ا ... إِيَّاهِ يَا عَظْمَظْمَ ...
عظمم : مَاذَا أَتَشْدُّكَ ؟ ... إِنْ مَحْفُوظِي مِنْ شَعْرٍ
غَيْرِكَ لَقَلِيلٌ ا ...
عَنْتَرَةٌ : إِذْنٌ فَأَنْشِدْنِي مِنْ شِعْرِي ا ...
عظمم : مَاذَا تَخْتَارُ أَنْ أَتَشْدُّكَ ؟ ... أَمِنْ شَعْرِكَ فِي
الْمَفَاخِرَةِ وَالْمَنَافَرَةِ ؟ ...
عَنْتَرَةٌ : قُلْتُ ، مَا أَغْشَاكَ ا ...
عظمم : أَأَنْشِدُكَ مِنْ شَعْرِكَ الْحَسِيِّ مَا قُلْتَ فِي وَصْفِ مَوْقَعَةٍ
أَرْجَانِ ؟ ... أَلَا تَذْكُرُ قَوْلَكَ :
فَوَيْلٌ لِكُسْرِي إِنْ حَمَلْتُ بِأَرْضِهِ
وَوَيْلٌ لْجَيْشِ الْفَرَسِ حِينَ أُعْجِزُ

- عنتره : أبعد عنا عجمجتك ، لا أبعد الله غيرك !
- عظمم : سَأَسْمِعُكَ إِذْنِ خَرِيدَتِكَ الرَّائِعَةِ الَّتِي فِيهَا تَقُولُ :
أَحْنُ إِلَى ضَرْبِ السُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ
- و
- عنتره : «مقاطعاً ، قسماً لمن لم تنقه عن ذلك الهذر لأذيقنك
ضَرْبَ تِلْكَ السُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ ! ... أَنَشِدْ غَزَلاً ...
غَزَلاً أَيُّهَا الْآخِيقُ ! ...
- عظمم : أَنْتِ يَا مَوْلَايَ حَرَمْتِ عَلَيَّ إِشَادَ الْغَزَلِ فِي حَضْرَتِكَ ! ...
- عنتره : «مراخياً في جلسته ، سَأَنَشِدُكَ أَنَا يَا عَظْمَمُ !
- عظمم : أَنَشِدْنِي غَزَلاً يَا مَوْلَايَ ؟ ...
- عنتره : غَزَلاً فِي ظَبَاءِ الْبَادِيَةِ ... أُرِغْنِي سَمْعَكَ ...
- عظمم : أَجْدِيدُ مَا تَقُولُ يَا مَوْلَايَ ؟ ...
- عنتره : إِنَّ الْمَعَانِي لَتَحْوُمُ فِي خِيَالِي كَالطَّيْرِ الْهَائِمَةِ ، وَإِنِّي
لَمُسْلِمٌ إِلَيْكَ السَّاعَةَ مَنصَاعَةً طَبِيعَةً ... !
- عظمم : قُلْ لَا أُفْضُ فَوْكَ ، فَإِنِّي إِلَى جَدِيدِ شَعْرِكَ شَيْقُ ،
وإن عهدي به لبعيد ...

عنبرة : « يشد في تمهل المرتجل ، :

من نحة الأعطاف مهنمة الحنا

منعمة الأطراف مائة القند

عظمم : « منتشيا ، يردد ، مائة القند ...

عنبرة : « متابعا ، بيت قنات المسك تحت لثامها

فيزداد من أنفاسها أرج النشد ...

عظمم : « يردد ، أرج النشد ...

عنبرة : « متابعا ، ويطالع ضوء الصبح تحت جبينها

فيغشاه ليل من دجلى شعرها الجعد

وبين ثناياها إذا ما تبسمت

مدير مدام يمزج الراح بالشهد

عظمم : « يردد ، يمزج الراح بالشهد ...

عنبرة : « أتصرع كأسى يا عظمم ...

عظمم : « وهو يقدم له الكأس ، بشفك زدنى يامولاي ...

« عنبرة وعظمم يشربان ... يغشى الصمت

يجلسهما برهة ... يتراخيان في جلستهما ،

يسمع النقي سيف وهو يشد : ... »

سيف : « في الخارج ، ينشد ، :

أنا لا يهدأ شوقي في بعاد أو لقاء
طيفك المحبوب شغلي في صباح أو مساء
أنت يا عبلة أنس لقوادي وهناء

عنتره : « يرفع رأسه مصغيا ، لمن الصوت ؟ ...

عظم : « الفتى سيف ...

عنتره : « مغمغما ، ما قىء يترنم بشعري ، وقد نهيته عن
إنشاده ! ...

عظم : « إن شعرك لم يعد ملكاً لك ... إنه حق مباح لكل
راغب فيه ...

عنتره : « ماذا تقول ؟ ...

عظم : « أمستطيع أنت أن تمنع الناس الاستمتاع بنور
الشمس ؟ ...

« يتضحك عنتره مغمضة عيناه ... يماود

« الفتى سيف غناءه »

سيف : « في الخارج ، طيفك المحبوب شغلي

في صباح أو مساء

حينما تَرْضَيْنَ عني يملأ القلبَ الرجاءُ
فإذا الكونُ نعيمٌ وإذا الدنيا صفاءُ

عنبرة : عظمم ! ...

عظمم : مولاي ! ...

عنبرة : إن لهذا القى صوتاً سَحَنُوناً ...

عظمم : « وهو يكرع من كأسه » كأنه هديلُ الحمام ، إذا
هاجته الشُّوقُ والهُيام ...

عنبرة : أترع كأسى ... أترع ! ...

« يملأ عظمم لعنبرة كأسه » يشرب

عنبرة ثم يستلقى على حشية »

سيف « يغني في الخارج » منك يا عبلة عزمي فابعثن في المضاء

وصليني في دُنُوِّ إن في الوصل شفاء

واذكريني في بعادي إن في الذكرى وفاة

الفصل الخامس

المنظر الأول

« الوقت أصيل ... أمام خيمة عنجرة ... »

عنجرة واقف يشهد سيفه ... هند قادمة ... »

عنجرة : « وقد لمح هنداً ، من أين يا هند ؟ وإلى أين ؟ ... »

هند : فيم سؤالك ؟ ... »

عنجرة : « وهو مقبل على سيفه يشحنه ، قليل من فضول ... »

هند : سؤال الفضولي لا جواب له عندي ... »

عنجرة : « وقد رفع رأسه مبتسماً ، فإن كان سؤال صديق ؟ ... »

هند : لهذا حكم آخر ، ولكن لا أستطيع الكلام ... »

عنجرة : « وهو يداعب خدها بيده ، إذن أنت في طريقك إلى »

زيارة عاطفية ، تقتضي حيلة ومساورة ... »

هند : ربما كان حقاً ما تقول ... أغيبور أنت ؟ ... »

عنجرة : لهذا سألت ... أجيبي ... من أين ؟ وإلى أين ؟ ... »

هند : لن أحيّر جواباً ... »

« تهم بتابعة سيرها . . . »

عنتره : « وهو يعترض طريقهما ، الأمر جدّ إذن ... هناك حبيب ! ... »

هند : دعني ...

عنتره : لن أدعك قبل أن تفنى إلى بسرّك ! ...
هند : نخل سبيلي ...

عنتره : لن تفاني من يدي ! ...

هند : ثم ماذا يا عنتره ؟ ...

عنتره : لا تخزي نفسي بـ ...

هند : « وقد عقدت يديها على صدرها وصمتت برهة ، قلت لك ثم ماذا يا عنتره ؟ ... »

عنتره : لا سرّ بين عنتره وصغيرته هند ! ...

هند : إن إفشائي لهذا السرّ يثير غضب عبلة ...

عنتره : « وقد حدّق فيها بهتاً » ما شأن عبلة بهذا ؟ ...

هند : إنه ليس بسرّي ! ...

عنتره : « وقد أمسك يدها بغتة » ماذا تعنين ؟ ... أهناك ...

رجلٌ ينتظر قدومَ عيلةٍ ؟ ...

هند : أطلقْ يدي ...

عنتره : « وقد شد على يدها ، أراكِ لا تجيبين ! ... »

هند : قلت لك أطلقْ يدي ...

عنتره : « وقد تطاير من عينيه الشرر ، يا هند ... أنتِ على

شفا هوةٍ تعبّثين ... صار حيني ... ما وراكِ ؟ ... »

هند : ماذا بينك وبين عيلةٍ حتى يبلغ بكَ الاهتياجُ هذا

المبالغ ؟ ...

عنتره : « وقد تمالك ، إن هو إلا عرض من أعراض القبيلة

على أن أذودَ عنه ... أن أحياه ! ... »

هند : أفكانت نفسك تهتاجُ هذا الإهتياجَ لو كان

المرض عرضَ هند أو عرضَ دجاء ١٩ ...

عنتره : « وهو يحاول كظم غيظه ، نعم ، الأعراضُ عندي

سواء ... »

هند : طب نفساً يا عنتره ... ليس في الأمر حبيب ! ... هي

حفلةٌ تُزمعُ عيلةٌ أن تقيمها الليلة ...

- عنتره : أيةَ حفلةٍ تعزّين ؟ ... ولم الحفاء إذن ؟ ...
- هند : أرادت عبلة أن تقصيرَ حفلتها على الصبايا من صويحباتها ... حفلة للصبايا وحدهنّ ! ...
- عنتره : « وقد أشرق وجهه » للصبايا وحدهنّ ؟ ! ...
- هند : لن يشهدا من الرجال أحد ... أفهمت الآن لم الحبيطة والتخفي ؟
- عنتره : ولكن لماذا قصرت عبلة على صويحباتها للعداري هذه الحفلة ؟ ...
- هند : لكي تنهى لنفسها ولصويحباتها مجلسَ متعة وإيناس ، يلهين ويمزحن ، ويرقصن ويغنين ، لا يحتشمين من أحد ، ولا يابهنّ لأحد ، ولا يخشين عيون الرقباء من الرجال ! ...
- عنتره : « وقد بدأ من عينيه وميض وهّاج ، وأين تكون هذه الحفلة ؟ ...
- هند : الحق أنك قد تجاوزت الحدّ ...
- « تنظر إليه ملياً »

عنبرة : إنه مجرد سؤال لست أبغى من ورائه شيئاً... لن أعكر

عليك صفوة حفلتك... أين تكون الحفلة؟...

هند : « هامة ، على غدير ذات الإصا د ...

عنبرة : ما أطيّسه مكاناً ... » بعد لحظات قصيرة ، وإذا

وقع ما ليس في حشبانك ، وهبط عليك رجل ،
فإذا أتت فاعلات ؟ ...

هند : نطارده في عنف وشدة حتى نخلي المكان منه ...

عنبرة : وإذا كان هذا الضيف من الأصدقاء الخالص ؟ ...

هند : « تحديق فيه وقتاً وتبتسم ، ثم تقبل عليه مداعبة ،

قسماً إنك لتحذّثك نفسك بالقدوم ... !

عنبرة : أو تظنّين ذلك ؟ ...

هند : « ضاحكة ، بل أؤكّده ...

عنبرة : ما أنت صانعة إذن ؟ ...

هند : « بعد فترة صمت ، أنت لي صديق ، ولك عندي

مكانة ... فإذا أصررت ...

عنبرة : « مبتسمة ، لست مصراً كل الإصرار ...

هند : لابد من تدبير حيلة ... « تفكر هنية » ... حسناً ! ...

« تقبل عليه وتسمر إليه أمراً ، ثم تقول في

صوت مسموع »

ماذا ترى في ذلك ؟ ...

عنبرة : ما ألمع ذكائك ! ... هذه « بخيستي » ...

هند : سترى كل شيء ، ولن يراك أحد ...

عنبرة : بورك فيك يا هند ...

هند : إنه سر بيننا ... بيني وبينك أنت وحدك ... فكن

على حذر ، حتى لا يفتضح الأمر ...

عنبرة : اطمئن يا صديقتي الوفيّة ... اطمئني ... سأهدي

إليك صندوقاً مرصعاً بلؤلؤ السحريّن ...

هند : فقط ! ؟ ...

عنبرة : ماذا نبغين غير هذا ؟ ... أجيبي ! ...

هند : لن يهدأ بالي حتى . . . حتى أنتهب كنوزك ،

وأتى عليها ، أيها الساحر الهندي ! ...

« يتفاحكان »

المنظر الثاني

« غدير ذات الإصا د الوقت مساء ...
اليوم نفسه . . القمر يغمر البقعة بضياءه
الفضى . تقبل أم هرم وحازم وبعض التابعات
يلقون ببعض الحشايا ويضعون قدور
الطعام »

أم هرم : « لحازم ، قلت لك لا تحضر ، فلم تستمع لقولى ...
إن الرجال لا يؤذن لهم أن يشهدوا هذه الحفلة ...
حازم : عجيبٌ أمرُك ... وهذه القدور ، أينسكن من تستطيع
تحملها ؟ ...

أم هرم : نشكر لك على أيتري حال ، ولكن يجب أن ترجع
أدراجك ...
حازم : سأفعل ويرتب بعض الأشياء ، وماذا تقصد
عبلة بكل هذا ؟ ...

أم هرم : إنها حفلةٌ صغيرة تريد أن تقيمها لِصُيُوتِ حَبَّاتِهَا

احتفاءً بخِطبتها للأمير ...

حازم : ومتى يحين يرم الزواج ؟ ...

أم هرم : لم يُبْتَ في شأنه بعد ... ولكنه وشيك ...

«تسمع أصوات» لقد حضرن ... اذهب ... اختف ...

« تدفعه فيخرج متسللاً ... بعد لحظة تدخل

عبلة وهند ودعجاء ونجلاء وبعض فتيات

الحى مرحاته يتضحكن يصعجن الفقى سيف »

عبلة : « للجمع ، شكراً لكن » يا حديقاتى ... أرجو أن

أحقق لكن في هذا الاجتماع الصغير لطائف

المتسع ... إنها حفلتنا ... حفلة الصبايا الطرروبات ...

نريد أن نحيا لحظات هادئات منعّمة ، لا تروّعنا

أنظار الرجال العطشى ... أطلقن أنفسكن على

سجيتها ... لا تخشَيْن شيئاً ... لن يقرب المكان رجل ...

ها أحسن أن تلتقى الفتيات بعيداً عن الرجال ...

« سيف يسأل ليشعر الحاضرات بوجوده

تنتبه إليه العيون »

نجلاء : « وهى ناظرة إلى سيف » يا لكلعجب ... كيف

لم تتسهنَ لو جوده ا... كيف نرتكب هذا الخطأ ؟ ..
ألم اشترط ألا يحضر مجامعنا إلا النساء ؟ ...

هند : ليس ثمة من خطا ...

دعجاء : إنه ... إنه بعيدٌ عن جنس الرجال ا...

هند : « واقفة في خيلاء أمام سيف ، وقد وضعت يديها في
خصرها ، أتقبل أن تكون من جنس النساء ؟ ... »

سيف : « ينقل بصره هنية بين الفتيات وبين قدور الطعام ،
ثم يحك رأسه بأصبعه ، حقاً ... لا أدري ا... »

عبلة : اطمئن ... لستَ برجل ا...

دعجاء : وليس بفتاة ...

سيف : يالآنكبة ا... إذن ماذا أكون ؟ ...

هند : أنت فتاةٌ ستقلب شاباً بعد حوّل ...

سيف : آه ... لا ... لا ... لستُ فتاة ا...

نجلاء : أترفضُ أن تكون فتاة ؟ ...

سيف : كلا ، إنما الواقع هو ...

« يتم حديثه مع نجلاء ودعجاء بصوته

خائض ... عبلة تلتحى بهند جانبا . . . »

- عيلة : ، هند ، منفردة بها ، أيحضر ؟ ...
- هند : نعم ، سيحضر ا ...
- عيلة : لم تذكرى له أننى عالةٌ بحضوره ...
- هند : اتحسين هنداً من البلاهة بحيث تقعُ في مثل هذا ؟ ...
- عيلة : وأين يكون مخبؤه ؟ ...
- هند : تشير بيدها في الخفاء ، خلفَ هذه الظُّلة ...
- عيلة : أياكون قد أوهمك بأنه سيحضر ، ولن يفعل ؟ ...
- هند : سيأتى حتماً ... وستريْن ... آه لو أبصرت به وقد اتفدت عيناها بلهسب الغـيرة ، حين ظن أنك على موعد مع رجل ...
- عيلة : أنتِ واهمة ...
- دعجاء : فيم نتسارن ؟ ...
- عيلة : كنا نتحدّث في مشكلة سيف ...
- نجلاء : لقد أقرّ بأنه فتاة ، وانتهى الأمر ...
- هند : لسيف ، أزعجى إليك تهنئتي الخالصة يا صديقتي الحبيبة ا ...

- سيف : كيف هذا ... كيف ؟ ...
- نجلاء : « وهي تشير إلى القدور ، لا عسّ مافي هذه القدور
إلا الإناثُ ...
- سيف : فلا كن مؤنثاً ... على بركة الله ... هاتوا الطعام .
- « يذهب بنفسه ويرفع أغطية القدور
ويتأمل ما حوت »
- ما أشهى هذا الثريدَ ! ... وهذا المجمعُ ما أطيبه ! ...
وهذا القديد ما أعظمه ! ... يا الله ! ... أجشئن أيضاً
بفالوذَج ؟! ... « يتلظظ طويلاً ، ويمتص لعابه ، طعام
الملوك ! ...
- نجلاء : أتحبُّ الفالوذَجَ يا سيف ؟ ...
- سيف : أموتُ فداءه ! ...
- هند : إنه طعام عنترَة المفضل ...
- دعاء : وطعامك المفضلُ أيضاً ! ...
- عبلة : « لدعاء ، وكيف تجدينه أنت ؟ ...
- دعاء : لونٌ غيرُ سائع ... لا ميزة له ...

عبلة : إني على رأيك ... نحن أهل البادية لا تشتهي هذه
الألوان الدخيلة علينا ...

سيف : لونٌ سائغ أو غير سائغ ، ألا تَبْدَأُ أَنْ الطَّعام ؟
هند : الطَّعام بعد الغِناء والرقص ...

سيف : كيف ؟ ... هذا تعنت ...
نجلاء : لا حيلة لك يا سيف ... الغِناء والرقصُ أولاً ...
عبلة : هيّا ... فلنبداً ... غنّ لنا شيئاً يا سيف ...

« سيف يتوسط الحلقة ويبدأ يننى ... »
« هند تغسل تاركة المكان ... »

سيف : « ينشد » أتاني طيفُ عبلة في المنام
عبلة : « تقاطع سيفاً ، صمتاً ... صمتاً ... لا أريدُ هذه
الأنشودة ... »

سيف : كيف يا سيدتي ؟ ...
« ينظر إلى الجمع مستظلاً رأيهن ... »

نجلاء : ولم يا عبلة ؟ ...
عبلة : ذِكْرِيَّات أدركها البسلى ، ولا أرغب في نبشِ
رُفَاتِ الموتى ...

دعجاء : أتخشين على نفسك من هذا الرُّفَات ؟ ...

عبلة : لا أخشى شيئاً على ... بل أخشى على غيرى ...

دعجاء : كيف ؟ ...

عبلة : قد يثير فى بعض القلوب رواقد الأشجان ! ...

دعجاء : « تتضحك فى انفعال وتصايح ، حقاً إنه ليثير أشجاناً

وأشجاناً ... ها ... ها ... غيٍّ يا سيفُ غن ...

« سيف يعود للفناء »

أتانى طيف عبلة فى المنام فتبلى ثلاثاً فى اللثام

وودّ عني فأودّ عني لهيباً أستره ويُسعل فى عظامي

« تعود هند »

هند : « لعبلة ، جانباً ، لقد حضر ...

« عبلة ترق مينها ، وتأخذ فى إظهار

مفاتها ، وتبسط شعرها ، وتخلع بعض

ملابسها فتبدو ذراعها عاريتين . . . »

عبلة : « مهمة ، إن حرّ الليلة لا يطاق ! ...

« تنثى وتتزايد فى مشيتها وتشير لإشارات

فيها دل وتيه ، وتمسك بهند وتبدأ الرقص
فتحذو حذوها العتيات ... بمضمن يرقص
وبمضمن يصفق ... دعباء ونجلاء في
المصفقات «

سيف : « منشدأ » :

أذل لعبلة من فرط وجدى
وأجعلها من الدنيا اهتمامى
وأمتثلُ الأوامر والنواهى
وقد ملك الهوى منى زمامى
أيا ابنة مالك كيف التَّسَلَّى
وعهدُ هواك من عهد القطام
لعمرك أياك لا أسألو هواها
ولو طحننت محبتهم عظامى
هند : « تتظاهر بالذعر ، صديقاتى ... صوئحيباتى ...

« العتيات ينظرن إليها متطلعات ... هند

تشير إلى الظلة «

أرى شيئاً يتحرك ... هناك ...

« تنجم الفتيات ، وينظرون إلى الظلة

متخوفات »

سيف : « وهو يرتعد ، إن الظلَّة هي التي تتحرك ! ...

عبلة : أنزعم أنها تتحرك من مكانها ؟ ...

نجلاء : شيء يتحرك فيها ...

سيف : أليكون ثعبانا كبيرا ؟ ... أسمع فحيجا

هند : أي فحيج ؟ ... إني لألحُ خلف القصب عينيْن

متقدتين كالجمر ! ...

دعجاء : لعله أسد ...

« الفتيات يتبعن ، ويتصايحن فرعا . . . »

عبلة : الزمن الصمت ... إن الصياح يهيج الأسود ! ...

« الجمع يصت وهو يحدق ناحية الظلة »

نجلاء : « في همس ، ألا يتقدم أحد ليجلو لنا الأمر ؟ ...

هند : « لسيف ، أنت الرجل الوحيد بيننا ... ألا تتقدم

لتدفع عنا ؟ ...

سيف : أنا رجل ؟ ... لقد أشهدتكُن على نفسى بأني فتاة ! ...

هند : يا للجبين ! ... أما تستحي ؟ ... تقدم ...

« هند ترجمه »

سيف : الجنين أمام الأسود شرف وُسُوْدُدا... اتركيني...
« مخاطب الأسد في ضراعة » كَشِدْتَكَ اللهُ أَيُّهَا
الضَّرْغَامُ إِلَّا رَحِمْتَنَا ا... »

« يبدو عنقرة فجأة من خلف الظلة
وبقهز إلى الجمع ... يظهر في ملابس البدو
أول مرة بعد عودته من فارس . . . »

عنقرة : « صائحا ، كلا... لن أرحمك... سألتهم مكن التهامها ا... »

الجمع : عنقرة ا... عنقرة ا... »

سيف : لم يخطئ ظننا ... إنه الضرغام عيشته ا... »

دعجاء : إنها لخيانة ... »

فتيات : « يرددن » خيانة ... خيانة ... »

عنقرة : ليس ثمة من خيانة ... أقسم لكن ... »

عبلة : « متناقضة : تقاطعه » من دلكك على مكاننا ؟ ... »

وكيف استبجحت لنفسك دخول حرمنا ؟ ... »

عنقرة : لم يقل أحد إن غدير ذات الإصاـد حرم ووقف

على الفتيات ...

عبلة : لقد قلت أنا الليلة ذلك ! ...

عنتره : لا علم لأحد بهذا ...

عبلة : كفى استخفافاً بنا يا عنتره ... إذا كنت تعلم بمكاننا

وأيت إلا أن تقهقهه علينا ، فإن ذلك منك جريمة

لا تغتفر ...

عنتره : إن أمرى واضح ... خرجتُ أنزّه في ضوء القمر ،

فقدتُ في قدماى دون قصدٍ إلى غدير ذات الإصا،

فسمعتُ غناء وطرباً ، فداني الفضول أن أتقدم

لأعلم ما الخبر ؟ ...

نجلاء : يلوح لى أن عنتره لم يكن سَيِّئاً القصد ...

هند : أما أنا فأراه سَيِّئاً القصد ...

عنتره : وماذا تَرَيْنَ يا هند ؟ ...

هند : نحاكك ...

عنتره : أرضى بذلك ، وسادافع عن نفسى خير دفاع ...

ولكن من يكون قاضٍ ؟ ...

دعجاء : « تشير إلى عبلة في شيء من السخرية ، وهل لدينا

غير عبلة أصاح أن تكون قاضيك ؟ ...

عبلة : سأكون سيّافاً ...

« تخطف بدلال سيف عنقرة ، ثم تقول ، :

أنت أسيرى ! ...

هند : لم يكن غير ذلك طموال حياته ! ...

عبلة : « تلتفت إلى الجمع ، إنه أسيرنا ...

الفتيات : « يتهايجن ، عنقرة أسيرنا ...

« يلتفون حوله »

عبلة : أترضّى أن أكون قاضيك أيضاً ؟ ...

نجلاء : أنكروني خصبها وحكما في وقتٍ معا ؟ ...

عنقرة : « لعبلة ، لا أطمئن إلى قضاء غيرك ...

عبلة : ألا تخشى قسوتي في الحكم ؟ ...

عنقرة : الفسرة منك رحمة وعدل ...

دعجاء : « في سخرية ، لقد عرفنا الحكم ماذا يكون ، وانتهت

الفضيلة ! ...

سيف : نعم ... نعم ... اقفت قضية عنتره ، ولنبدأ قضية !
القدور ! ... إن بطوننا تتضور ... هلاً
رحمستموها ؟ ... ولنبدأ بالفالوذج ... وليحي
الفالوذج العنترى ... هيا ... هيا ...

نجلاء : هلموا ، رافقه بهذا المسكين ... تشير إلى سيف ،
عبلة : هلموا ...

« سيف يتقدم مهرولاً نحو القدور ،

فتلقه أم هرم »

أم هرم : « لسيف ، قف ... لا تتقدم ... إن تأخذ
إلا ما نعطيكم ...

« سيف ينذر ... يلتف الجمع حول

الطعام ، يأخذون في الأكل وهم يضجون

ويتصايحون ... عبلة وعنتره يتركان حلقة

الطعام بعد قليل ، وقد أخذ كلاهما منه

نصيلاً في يده ... يسيران على مهل جنباً إلى

جنب ، قاصدين غدير ذات الإصا . . . »

عبلة : « وهى تلوك طعامها فى فمها » ما أحلى هذا الفالوذج !
لم يكذب من سماه طعام الملوك ...

- عنبرة : أنجبينه ؟ ...
- عبلة : « ناظرة إليه بدلال ، إني به ، ولعة ا ...
- عنبرة : إني لفتحة ... وبذلك ، فأنا الذى أدخلت ، صناعته فى هذه البادية ...
- عبلة : لك أن تفخر بذلك ، فقد غزوت به قلوب البدو ...
- عنبرة : وددت لو بغير الفالوذج غزوت هذه القلوب ا ...
- عبلة : أراك لا تأكل منه ... ماذا تظنهم ؟ ...
- عنبرة : « وهو يأكل ، أظنهم جميعاً ...
- عبلة : طعام عامة العرب ... لأنه طعام تافه ...
- « يصلان إلى القدير ... عبلة تكشف عن ساقها وتضرب قدسها فى الماء عابثة »
- عنبرة : « وهو يأكل من الجميع ، ولكنى أجده شهياً جداً ا ...
- عبلة : عنبرة الفارسية " يأكل الجميع ويستطيعه ا ... أين هذا من اللوزينج المعطر ، والطبايح الرشراش ؟ ...
- عنبرة : إنها المرة الأولى التى أذيق فيها الجميع بعد عودتى من

فارس ... وإني لأجدُ له مذاقاً يعلو على اللوزينج
والطبايح ...

عبلة : لقد شوقتني إلى أكله ... « يقدم لها عنقرة مجيئة ،
فتشاركه ، حقا إنه لذيذ هذه المرة ا... » تنظر إلى ثيابه ،
يلوح لي أنها المرة الأولى التي تستبدلُ فيها بملابسك
الفارسية الثمينة ذلك الرداء البدوي ا... »

عنقرة : « ضاحكا ينظر إليها ، وإنما المرة الأولى التي أجلس
فيها تلك الجلاسة على أديم الأرض ، لا نمارق
ولا طنافس ا... » يتمطى ويستنشق الهواء « ...
ما أطيب حياة البادية ا... »

عبلة : إنها حياتك القديمة التي أضعتها ...

عنقرة : كيف أضعتها ؟ ... إنها لي ، أستعيدُها في أي وقت
أشاء ا... »

عبلة : تظن أنك قادرٌ على أن تستعيد كل شيء متى شئت ا... »

عنقرة : « مبتسما ، ألسْتُ غائرة ؟ ... »

عبلة : « ضاربة بقدمها في الماء ، لقد سلبتك سيفك من

يدك ، وسيفك كل شيء لك ، فكيف تستطيع أن
تستردَّ ما ترغبُ فيه ؟ ...

عنتره : بقلبي ...

عبلة : أما زلتَ ذا قلب ؟ ...

عنتره : وأين ذهب قلبي ؟ ...

عبلة : إنه يهيم ضللاً في بلاد فارس ...

عنتره : إني لأحسُّه يحتاج بين جوانحي ...

« يد يده إليها يريد أن يمسك يدها ، هاني يدك ...

عبلة : « متراجعة بدلال ، لماذا ؟ ...

عنتره : لتتعرَّفَ في مكانه ، وتتيبني تحفوقه ا ...

عبلة : ليست بي إلى ذلك حاجة ... إني بمكان قلبك عليمه ا .

« تنثر عليه بكفها ماء مداعبة ... يرتد

قليلاً ، ثم يقبل عليها »

عنتره : أتذكرينَ يومَ رششتني بالماء في هذه البقعة نفسها

قبلَ رحيلي إلى فارسَ ، حتى ابتلَّ ثوبي كله ؟ ...

عبلة : كان ممبث الصبا ، ولهو الطفولة ...

- عنبرة : ما زلتِ على هذا اللاهو والعبثِ ا ...
- عبلة : كلا ... لم أعد عبلةً الماضى ...
- عنبرة : هذا حق ، لأنك تتجددُ دين كل يوم ... تتجددُ دين
حُسناً وبهاء ...
- عبلة : يا للْمُدهِنِ الماكرِ ا ...
- عنبرة : أُمْدَاهُنْ ماكرٌ أنا حقاً ؟ ...
- « يقرب منها »
- عبلة : « فى مداعة ، قلتُ لك لا تقترب منى ...
- عنبرة : أرغَبُ فى استردادِ سيفى ا ...
- عبلة : قبل أن أقتلك ؟ .. هيات ا ...
- عنبرة : « مقبلاً عليها ، هاتى سيفى ... قلت لك هاتى سيفى ...
- « عبلة تقفز من مكانها ، وتجرى على
الصخرة بجوار القدير . . . يمدو عنتره
خلفها »
- عبلة : « واقفة محتمة بالصخرة ، أما زلتِ مُعتزِماً أن
تستردَّ سيفك ا ؟ ...

- عنبرة : أفى ذلك شكك ؟ ...
- عبلة : لأن جَرَّبْتُ ...
- « تلوح بالسيف في يديما . . . »
- عنبرة : عبلة ... لا تلعبى بهذا الحسام الباتر ... أنخشى عليك منه ...
- عبلة : ولم لا أنخشى عليه منى ؟ ...
- عنبرة : رُدِّيه إلىَّ بِسَلام ...
- عبلة : وإذا لم أرده بِسَلام إليك ؟ ...
- عنبرة : أخذته غَصْبًا ...
- عبلة : أعدك أن أرده إليك ، على شرط واحد ...
- عنبرة : وما هو هذا الشرط أينها الجَنِيَّة ؟ ...
- عبلة : أن أُعَلِّقَ به لحيَتَكَ ...
- عنبرة : لحيَتى ؟ ... كما فعلتِ بى فى الماضى ؟ ... هيهات ! ...
- « ألجم هناك منهمك يأكل ، بيد أن دعجاء
تأخذ غيبة عنبرة وعبلة ... فتطالع تريد
كشف مكانهما ، فتحول هسند دون ذلك
بإباتها فى الحديث والإشارة . . . »

- عنبرة : « لعبلة » قلت لك تعالى ...
 عبلة : « لحيتك » ؟ ...
 عنبرة : « هاتي السيف يا شيطانة ...
 عبلة : « أسلمني لحيتك أسلمك سيفك ! ...
 عنبرة : « ناظراً إليها فترة وهي تتلاعب بالسيف في دلال »
 قبلتُ ما تريدن ... تعالى ...

« عبلة تعطي الربوة » وتنهيا للقفز ...
 فترة يبسط لها ذراعيه ، فترمي بين
 أحضانه ... يحملها إلى الفدير ... على حين
 يبدأ الفتي سيف يغنى بتجريس من هند »

سيف : « ينشد » أنتِ العين ضياء أنتِ للروح دواء
 أنتِ يا عبلة أنس لثؤادي وهناء
 أنا لا يهدأ شوقي في بعادٍ أو لقاء
 طيفك المحبوب شغلي في صباح أو مساء

« عبلة تفرق من عنبرة » وترقص بالسيف
 أمامه ، وهو يراقبها في شفق ، ثم لا يلبث
 أن يقبل عليها ويراقصها »

سيف : « يتابع إنشاده » :

حينما تَرْضَيْنَ عني يملأ القلبَ الرجاءُ
فإذا الدنيا نعيمٌ وإذا الكون صفاءُ
وإذا بي في حُبور وابتهاج وازدهاءُ
منك إقْدامى وعزى فابعثنى فى المضامِ
وصالينى فى دنوئى إن فى الوصل شفاءُ
واذكرينى فى مغسبى إن فى الذِّكرِى وفاءُ

« يظهر الأمير عمارة فجأة على الرهوة

الكبيرة ... يسلم ضياء القدر عليه ...

يوقف الجيم من الغناء والرقص . . . »

عمارة : « فى لهجة الساخط المغيظ ، بل تابعوا ما كنتم فيه ...
لم أحضر لأعكرَ عليكم صفوَ ليلتكم ...

« ينزل من الرهوة متمهلاً » ولا يحيى

عنبرة ... عبلة تنزل بصرها بين الأمير عمارة

وعنبرة ... تنف وقفة الظافر بانتصارها على

أكبر قلين تضمهما اليداء ... الأمير عمارة

يواسل حديثه فى لهجة المهكم »

قلتُ لكم تابعوا الغناء والرقص ...

عبلة : « تتجه نحوه ، أنت في غضبك بحق » ...

عمارة : أغضب أنا ؟ ...

عبلة : أنت خاطبي ، وبحق لك أن تغضب ، إذ ترى خاطبتك

يراقصها رجلٌ غيرك ...

عمارة : وما دمتِ تدركين ذلك فلم تُقدمين على هذه الفعلة ؟

عنتره : لستُ غريباً عن عبلة أيها الأمير ... إن هلة الرحم

ترابطنا ، ونحن من قبيلة واحدة ...

عمارة : ولعنتره ، أوجهتُ إليك الكلام ؟ ...

عبلة : « تتقدم من الأمير عمارة ، الحق أني أخطأت » ،

ولكنه خطأ بلا قصد ... طلبني للرقص ، فخرجتُ

أن أردّه ... أقسم ...

عنتره : ولم القيسم ؟ ...

عمارة : « لعنتره ، أنزعسُم إذن ...

عبلة : « وقد أفبلت على الأمير عمارة ، لا يزعم شيئاً ...

لم يعد يبنى وبين عنتره شيء ... لقد وهبتك أنت

قلبي وكفسي ، وإنى لا أملك إلا قلباً واحداً ...

عمارة : عبلة ١٩ ...

عبلة : أميري ، وخاطبي ؛ بل زوجي ...

« تميل على صدره فيحنضنها ... عبلة

مغيظ ، والسكنه كالظم غيظه ... هند في

حيرة ... دعجاء تنفج في شوق وحاس »

عبلة : « بعد تردد ، إن وقى لأمن من أن أضيّعه في هذا

المكان ... إن غزوة بني قهمد تنادي بي ... إن الحرب

مشغلتني ...

« يتهيا للخروج ، ويلتفت إلى الأمير

عمارة قائلا »

أما الحب فإنني أدعُك ... فلتنعم به ... طاب ليكم !

« يخرج مهرولا »

عبلة : والآن إلى الرقص والغناء ...

« تبادل الأمير عمارة نظرات الهيام ...

ترك الأمير وتهرع إلى الجماعة لتنظم حلقة

الرقص ... تميل على هند وتضبط يدها في

ابتهاج ... تنحني بها جانبا وتقول متحمسة : «

إنه يحبني ... يحبني ...

هند : « متسائلة في سذاجة » من ؟ ... الأمير ؟ ...

عبلة : « ضاحكة في استهزاء » الأمير أمره واضع ...

هند : تسعين عترة ؟ ... « في سذاجة » ولماذا إذن

تركته ينصرف كالطريد ؟ ...

عبلة : « لا أعني بالرد على سؤالها ؛ بل تجنّبها من يدها

وتصيح « إلى الرقص ... إلى الغناء ... هيا ...

« ترك هند ... تعود إلى الأمير عمارة

منشبة فرحة ... هند تقف فاعرة فاهاً »

ديعاج : « وقد اقتربت من هند ، لا تعجبي يا هند ...

لا تعجبي ... مازلت طفلةً يا صغيرتي ! ...

« الغناء والرقص يدآن ... الأمير عمارة

يراقص عبلة »

الفصل السادس

« بقعة رملية وراء الجبل يبدأ منها
« فم الشعب » وهو الطريق الوحيد الذي
يصل مناطق الصحراء بضارب بنى فهد ،
ونعيم قبيلة الأمير عمارة الكندى ...
يبدو الأمير عمارة الكندى وهو ممسك
بزمام اجل الذي عليه هودج قبيلة ذو اللون
العنابي ، خافه الركب من الأعوان والأنباع »

عمارة : « يقف جمال الهودج ، حطّوا الرّحال لحظة
يارجال ، حتى نصلح من شئوننا ، ونعدّ أنفسنا
لاجتياز هذه الشعب الوعرة ... » يصفق ناحية
الهودج ، عبلة ... عبلة ... « تطل عبلة من الهودج »
انزلى يا حبيبتى لنستريح بضريح لحظات ، ثم تتابع
السير ! ...

« يتلقاها بين يديه نازلة من الهودج
تنزل بعدها هند ... الأمير عمارة يربت
يد عبلة ملاحظا مدلا ، ثم يواصل
حديثه ... »

لن نتأخر طويلا ... سيكون وصولي إلى مخيمى
فى الوقت الذى عيّنناه ... إن أباك مع القوم هناك
ينتظرون قدومنا ... لأنهم ليزدوبون شرقاً لاستقبال
أميرة كندة ...

« يقبل يدها ، لست أميرة كندة وحدها ، بل أنت
أميرة كل هذه البادية ... »

عبلة : « يملو وجهها بعض السهوم ، أشكر لك أيها
الأمير ! ... »

عمارة : « ما هذه الكلفة ، يا عبلة ؟ ... لقد طلبت إليك ألا
تلقينى بالأمير ... قولى يا عمارة ... بل قولى
يا ... حبيبى ... ! »

عبلة : « مهما يكن من أمر فراسم الزواج لم تتم بعد ...
أنقيم وزناً للألفاظ ، وأنت عليم بما يُكِنُّه لك
قلبي ؟ ... »

عمارة : « يقبل يدها مشغولاً ، شكراً ... شكراً لك
يا عبلة ... والآن سأذهب للإشراف على الاتباع ... »

وسأعود إليك بعد قليل ...

« الأمير يخرج ... عبلة وهند تخطوان

بفتح خطوات »

عبلة : أف ... أف ...

هند : ولم التأفف ؟ ...

عبلة : من وقدة الحر ...

« تروح وجهها بطرف خمارها . . . »

هند : « تنظر إليها مستريية ، حقاً إن الحر لا يطاق ! ...

« تروح وجهها بطرف خمارها أيضاً . . . »

ولكنني مع ذلك أرى الجوّ رخيّ السمات ...

كل الناس يقولون : إننا محظوظون بالخروج هذا

اليوم ...

عبلة : ماذا تقصدين بكلامك هذا ؟ ...

هند : لأشياء ! ... « بعد صمت قصير ، أف ... أف ... »

عبلة : ماذا ؟ ...

هند : الحرّ ... لا يطاق ! ...

« تروح وجهها بطرف خمارها . . . »

- عبلة : أتَهزَّئِينَ بِي ؟ ...
- هند : معاذَ الله ...
- عبلة : إِذْنٌ ...
- هند : بِي ضَيْقٍ شَدِيدٍ ...
- عبلة : أَفِي يَوْمِ عُرْسِي تَحْسَبِينَ ضَيْقًا وَهَمًّا ...
- هند : « تَحْدَقُ فِيهَا ، لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَحْسَّ السَّعَادَةَ يَا عَبْلَةُ ،
وَأَنَا أُرَاكِ تُزَفِّينَ إِلَى الْأَمِيرِ عُمَارَةَ ... »
- عبلة : وَإِلَى مَنْ كُنْتَ تُودِينُ أَنْ أَرْفَ ؟ ...
- « هند تنظر إليها في صمت ، ثم تهم
بالكلام ، فتسبقها عبلة »
- لا أريدُ أَنْ تَلْفِظِي بِاسْمِهِ أَمَامِي ... لَا أريدُ ...
المتغَطرس ... المغرور ...
- هند : « كَأَنَّهُا تَتَحَدَّثُ إِلَى نَفْسِهَا ، إِنَّهُ وَرَبِّي لَمَعْظُومٌ ... »
- عبلة : اسْكُتِي وَلَا تُطِيلِي اللَّجْجَاجَ ! ...
- هند : مَاذَا كُنْتَ تُرِيدِينَ مِنْهُ أَنْ يَفْعَلَ بَعْدَ أَنْ رَأَى مِنْكَ
مَا رَأَى لَيْلَةَ الْغَدِيرِ ... غَدِيرَ ذَاتِ الْإِصْبَادِ ؟ ...

عبلة : لا أريد منه أن يفعل شيئاً ... إني أكرمه ...
 أمقُتُهُ ... أسامعهُ ؟ ... لقد ظنَّ بعد عودته من فارس
 أنه ملائكة الأرض ، واستعملنى سلطانه على مناطِ
 الجوزاء ! ... أما الآخر ...

هند : الأمير عمارة ...

عبلة : خاطبي ... زوجي ... حبيبي ، فإنه مشالُ الرجل
 الكامل ... وإني أحبه ، وأنا سعيدة بزواجه ...
 « تسير محتاجة بضائع خطوات ، ثم تقول ،
 أف ... أف ...

هند : الحرُّ لا يطلق ! ...

« تسير عبلة وقتاً جيئة وذهوبا في
 احتياج . . . هند تجلس على سخرة وقد
 أسندت وجهها إلى كفيها . . . تقف عبلة
 فجأة أمام هند
 عبلة : إنه لم يحضرْ لمشاهدة عرسى . . . وإني بذلك
 لفريرة الدين ...

هند : « وهى على حالها ، لقد خرج لغزو بني فهد ...

عبلة : ولماذا اختار لهذه النزوة اليوم الذى اخترناه نحن
لحفلة العرس ؟ ...

هند : يقولون إنه استخبرَ المنجِّمينَ ، فبيَّنوا له هذا
اليوم ، وقالوا إنه له يوم سعيد ...

عبلة : بل سيكون أشأمَّ يومٍ في حياته ... إني لأرجو أن
يلقى من بنى فهد شرَّ هزيمة وخيبة ...

هند : ما هذا القول يا عبلة ؟ ... إن هزيمته هزيمة لقومنا ...

عبلة : لقومكم أتم ... إني اليوم إلى كندة أنتسب ...
كندة العظيمة ...

هند : سينتصر عذرة ... ما من ذلك بد ...

عبلة : سترى ...

هند : أفى ذلك تشكسين ؟ ...

عبلة : ماذا ترجئين من رجل أخفى زيرَ نساء ، حليف
شراب ؟ ... أبقىستَ عنده للحرب همّة ؟ ...

■ يظهر الأمير عمارة عوطا بأهوانه

وأتباعه ■

عمارة : « للجمع ، هُيُوا ... شدوا الرِّحال ... ولنمضِ
على بركة الله ... »

« الجمع يهيا ... يقبل حرس
مهرولا »

الحرسى : « للأمير عمارة ، سيدى الأمير ... »

عمارة : ماذا ؟ ... »

الحرسى : « إن رجالَ عنزة قد ظهروا على حينِ فجأة ، واحتشدوا
على « فَمَ الشعب ، يبتغون أن يأخذوا الطريق قبل
أن نأخذه ... »

عبلة : « يا لكدَّاهية ! ... يريدون أن يجتازوا الشَّعب قبلنا ،
فيسدُّوا علينا الطريق ، ويرهقونا بالنَّبار ...
محال ! ... »

عمارة : « اعترضوا طريقهم ... »

الحرسى : « لقد فعلنا ... ونخشى أن يلتحم الفريقان ... »

« تسمع ضجة يقيين الجمع فيها صوت عنزة »

يجلجل ... بعد لحظة يظهر في لمة من أنصاره .»

عنتره : « للأمير عماره ، بأمرِك مُنِع رجالى من نزول
الشعب ؟ ...

عماره : نعم ...

عنتره : ألا تعلم أنهم رجالى ، وأنى ماض بهم لغزو بني فهد ؟
عماره : لقد جئتُ بركبى فى هذا المكان قبلك ، فلى أن
أقدمك فى السير ...

عنتره : ركبك ؟ ... قلت لك إنى قادمٌ لغزو بني فهد ،
فَنَحْ رجالك عن الطريقِ بِسلام ...

عبلة : « تتقدم شاحنة الأنف ، إنه ركبى أنا أيضاً ، وسيمرُّ
قبل جيشك ا ...

عنتره : « يتظاهر بأنه لم يردا حتى الآن ، أذيرة كئيدة ؟.

تحياتى وإجلالى ... « ينحنى محيياً ، أعلم أن الـركبَ
ركبُ عرسك ، ويسوفنى أن ينسبَ بينى وبين
الأمير مخاطبك هذا الخلاف ... أأنا نصحتُ له بأن
يفتحنى برجاله جانباً ، ويدعنا نمرُّ بِسلام ؟ ا ...

عبلة : أنصحُ له أن يُفحصيك ورجالك ... « مخاطب الأمير

عمارة ، لن يمرُّوا قبلنا ... لن تتقدم ركب عُرُسى
هذه الشرذمة التي يسوقها عنقرة ! ...

عمارة : لن يمرُّوا قبلنا أبدا ...

عنقرة : « يصبح برجاله ، اسبقوا إلى الطريق ... لا يصدكم
عنه أحد ... إن الوقت قد أزف ...

عبلة : « للأمير عمارة ، اشمـرّ عليهم السيف ! ...

عمارة : « مجرداً سيفه من غمده ، سيكون هذا بيننا حكماً ...

عنقرة : « نريد قتلى ١٩ ...

عمارة : « إنى مبارزك ... احم نفسك ...

عنقرة : « إنى لأرثى لك ! ... « مجرد حسابه من غمده ،

سأثمـهـلك بهض الوقت لتروى فى الأمر ...

عمارة : « قلت لك احم نفسك ! ...

عنقرة : « يا عمارة ... ما زلت غص الإهاب ، ولك عُرُوس

حسنا ! ...

عمارة : « لا تزد ، وإلا اخترمك سـيفى ، ولات ساعة

منشدم ! ...

عبلة : « للأمير عمارة ، لا فُضَّ فُوكَ يا حبيبي ! ...
عنبرة : « برغمي أبارزك ، وبرغمي سأقتلك ، وأشهدُ ربِّي
على ذلك ! ... »

« يلتقي القارسان في مبارزة مرهقة ...
سرعان ما يهجم عنبرة على خصمه هجمة
قوية ... عبلة تراقبهما ضهورة بأنهما من
أجلها يقتتلان ! ... عنبرة يطعن الأمير
عمارة في كتفه ... يسقط السيف من يد
الأمير عمارة ويترنخ في وقفته ... عبلة
تصبح يسرع عنبرة إلى الأمير عمارة
ويثاقه بين ذراعيه ، ثم يقول . . . »

« أصبتُ منكَ مقتلاً ؟ ... » يكشف عن الجرح ،
ثم يغمغم ، جُرح كبير ، ولكنه ليس بالخطير ! ...

« الأمير عمارة مضى عليه ... عنبرة يخاطب
رجال الأمير عمارة »

« إن أميركم جريح ، وجُرحُه يتطلبُ حسنَ عناية
وسرعةَ علاج ... هليُّوا فاحملوه ! ... »

« يتقدم بعض أتباع الأمير عمارة فيحملونه »

« عودوا من حيث أتيت ، واخلُّوا وجهَ الطريق ! ... »

« ينصرف رجال الأمير عمارة به ويخلون
البقعة لعنترة ورجاله . . . عنترة يخاطب
رجاله
أَمَا أَتَمُّ فَاسِيَقُهُ إِلَى بَطْنِ الشَّعْبِ ... سَالِحٌ
بِكُمْ بَعْدَ هُنَيْشَةٍ ...

« رجال عنترة يشيرون إشارة الطوع
وينصرفون . . . عبلة تلم شعثها وتهم
بالخروج في أثر جماعة الأمير عمارة . . .
عنترة يخاطبها »

إلى أين ؟ ...

عبلة : أَلَمْ تَقُ بِخَاطِبِي الْجَرِيحِ ...

عنترة : لَدَيْهِ مِنْ يُعْنَى بِهِ ...

عبلة : إِنَّهُ فِي حَاجَةٍ إِلَى ...

هند : « مَغْمَمَةٌ ، إِنَّهُ فِي حَاجَةٍ إِلَى طَلِيبٍ أ ...

عنترة : « لَعْبَلَهُ ، سَيُشْغَلُ عَنْكَ بِحُجْرَةٍ ...

عبلة : إِنَّهُ يَحْبُنِي ، وَلَنْ يُشْغَلَهُ عَنْ شَيْءٍ أ ...

عنترة : أَنْتِ وَاهِمَةٌ ...

عبلة : وَأَنَا أَحِبُّهُ أَيْضاً ...

- هند : لا أصدق ...
- عنتره : لعلك تريدن أنك تُشفقين عليه ... إن الفارس الممزوم لا يُحب ...
- هند : أمقتُ الممزومين ! ...
- عبلة : أحبه ، وأريد أن أُنغى بجرحه ...
- « تم بالمهوى ، فيتصدى لها عنتره واقفاً في طريقها فتقول ، دعني أنصرف ! ...
- عنتره : أنسيتِ يا حسناء أنك أصبحت سبيتي ؟ ...
- « عبلة تقف أمامه عاقدة يديها على صدرها »
- عبلة : أنا سبيتك ! ...
- هند : « متطلعة إلى عنتره في سرور ، وأنا ! ...
- عنتره : أنقبَلين أن تكوني سبيتي يا هند ؟ ...
- هند : إنه لشرفٌ يا عنتره ...
- عنتره : أنت فتاة رقيقة العاطفة ! ...
- عبلة : أعلم أنى لستُ رقيقة العاطفة ... لن أَرْضَى أن أكون سبيّة أحد ...

- عنقرة : لا يطلب رضاك أحد ... لقد نلتك سبيية
في قتالي مع الأمير ، وستفعلين في أسرى ...
- عبلة : وتحقق فيه برهة صامته ، ثم تقول ، وماذا أنت
صانع بي ؟ ...
- عنقرة : لن أضحك إلى جوارى ... سايبك ...
- هند : أرضى أن أشتريها منك ...
- عنقرة : ولماذا ترغين في شرائها ؟ ...
- هند : لأهلك إياها ...
- عبلة : أوتر أن أباع في الأسواق ...
- عنقرة : هذا ما اعتزمت صنعته ...
- هند : وهل تساوى كثيراً ؟ ...
- عنقرة : « يدور حول عبلة وتفحصها ، ثم يقول ، لا أظن ...
- عبلة : ولماذا تدعني إذن ؟ ...
- عنقرة : لا رغبة لي في الإبقاء عليك ... إن خبائي يغتص
بالجوارى ...
- هند : « في مداعبة ، قد تنفعك ... إنها ماهرة في

كل شيء ... في حَلْبِ النِّياقِ ، وصُنْعِ المَجِيعِ ،
وعملِ الثَّرِيدِ ...

عبلة : إن عنقرة ليس في حاجة إلى من يحملُ نياقه ،
فهو ماهر في حملها . . كان يحملها ويأْتيني كلَّ
صباح بلَبَنها ... !

عنقرة : أنا ؟ ...

هند : لا تستطيعُ الإنكار ... أنا شاهدةٌ عليك !

عنقرة : كان ذلك فيما مضى ...

عبلة : والآن ... ألا تَرْضَى أنْ تحملُ لِي النِّياقَ ؟ ...

عنقرة : لن أحلبَ نياقاً لأحد ... قلتُ لكِ سأبيدُكِ ! ...

هند : وهل يرضى قلبك بهذا ؟ ...

عنقرة : يرضى ... يرضى ...

هند : وجبكِ لها ؟ ...

« يقدم فارس »

الفارس : « لعنقرة ، إن الجيشَ على أتمِّ أُنْبَةِ ... والوقتُ

قد أُرِفَ ...

عنتره : ابدؤوا السير ... واحضروا هودج عبلة ...

الفارس : د ينادى ، هودج عبلة ...

« يظهر هودج عبلة محمولا على جبل ... »

يناخ الجبل على مقربة من عبلة »

عبلة : إلى أين أنت ذاهبٌ بي ؟ ...

عنتره : سأخذُكِ معي في غزو بني فَهْد ...

عبلة : أرغبُ في العودة ...

عنتره : ستُطيعين أمرى ا ...

عبلة : لا أُمِرَ لأحدٍ على ؟ ...

« تتعزز للهرب ، فيمسك بها عنتره ،

ويحملها إلى المودج ، فتصبح وتحاول

الانقلاط منه »

عنتره : لن تُفلاتي مني ، ألم أقلُ لكِ إنك أصبحتِ أسيرتى ...

سَبِيَّتِي ؟ ...

عبلة : « وهى بين ذراعيه ، تحاول التملص منه ، دَعْنِي ...

دَعْنِي ... إن ذراعيكَ تَدَقَّانِ عِظَامِي ... !

عنتره : سارو ضُكِ على أن تكوني أسيرتي ...

« يضعها في الهودج . . . هند تدخل

وراءها . . . عنتره يصبح : . . . »

قيامًا ... قيامًا ...

« ينهض الجمل . . . عنتره يصبح : »

إلى بني فهد ا ...

ختم

الآيات في هذه القصة مقتبسة من
الشعر القديم ، إلا أن شرده عنتره لعبلة
التي مطلعها : « أنتِ للعين ضياء » ، فقد
نظمت هذه القصة خاصة .

[رقم الإيداع ٣١٢٩ لسنة ١٩٧١]

من مؤلفات «محمود تيمور»

(أ) مجموعات قصصية :

- ١ — كل عام وأنتم بخير
- ٢ — مكتوب على الجبين
- ٣ — شفاء غليظة
- ٤ — إحسان الله
- ٥ — انتصار الحياة
- ٦ — قال الراوى
- ٧ — أبو الشوارب
- ٨ — دنيا جديدة
- ٩ — عرشنا عجب

(ب) قصص مطولة :

- ١ — كيلو باترا فى خان الخليلي
- ٢ — سلوى فى مهب الريح
- ٣ — نداء المجهول
- ٤ — شمروخ
- ٥ — معبود من طين

(ج) صور وخواطر :

- ١ — ملامح وغضوب
- ٢ — النبي ^{الإلهام}
- ٣ — شفاء الروح
- ٤ — عطر ودخان

(د) رحلات :

- ١ — أبو الهول يصير
- ٢ — شمس وليل
- ٣ — جزيرة الجيب

(هـ) قصص تمثيلية :

- ١ — صقر قريش
- ٢ — سهاد أو اللحن التائه
- ٣ — المنقذ وحفلة شاي
- ٤ — الخبأ رقم ١٣
- ٥ — المزيفون
- ٦ — فداء
- ٧ — اليوم خير
- ٨ — ابن جلا
- ٩ — قنابل
- ١٠ — حواء الخالدة
- ١١ — طارق الأندلس

(و) دراسات لغوية وأدبية :

- ١ — مشكلات اللغة العربية
- ٢ — دراسات فى القصة والمسرح
- ٣ — طلائع المسرح العربى
- ٤ — اتجاهات الأدب العربى
- ٥ — القصة فى الأدب العربى
- ٦ — معجم الحضارة (قاموس)

